سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (31) | 22 / 4 /2012

أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

من غرافيتي الثورة

ملخص النقاط الرئيسية في اتفاق سوريا والأمم المتحدة بشأن المراقبين

مسؤوليات الحكومة السورية:

- «وقف العنف المسلح بكل أشكاله واستكمال انسحاب كل تجمعات الجيش السوري وأسلحته الثقيلة من داخل ومحيط المراكز السكانية وإعادتهم إلى ثكناتهم أو أماكن نشرهم المؤقتة»، وتنفيذ عناصر أخرى بالاتفاق مع الوسيط الدولي كوفي أنان.

- تضمن الحكومة السوري «الحفاظ على الأمن والقانون من خلال استخدام الشرطة ووكالات إنفاذ القانون بشكل يتوافق مع القانون الإنساني الدولي وقانون حقوق الإنسان».

- كما تضمن الحكومة السورية سلامة كل موظفي الأمم المتحدة «دون المساس بحرية كل الموظفين في الحركة»، و«السماح بالوصول بلا عائق لعمال الإغاثة الإنسانية إلى كل السكان الذين يحتاجون للمساعدة».

- لم يتم التوصل لاتفاق بشأن استخدام الأمم المتحدة للطائرات أو الطائرات الهليكوبتر. وقد يناقش هذا الأمر «ويتم الاتفاق عليه في وقت لاحق».

- تسمح الحكومة السورية «بوصول موظفي الأمم المتحدة دون عوائق إلى أي منشأة أو موقع أو فرد أو جماعة تعتبر ذات صلة».

- للقوات المسلحة السورية أن «تواصل الحفاظ على أمن المنشآت والأصول الإستراتيجية مثل الموانئ والمطارات والطرق السريعة ومصافي النفط.. إلى آخره».

مسؤوليات (الجماعات المسلحة):

المسؤوليات التالية «يؤكدها (أنان) مع وفي ما يتعلق بجماعات المعارضة المسلحة والعناصر ذات الصلة بها» - «الوقف الكامل للقتال والوقف المستمر للعنف المسلح بكل أشكاله».

- حرية التحرك لموظفي الأمم المتحدة وعدم تهديد أمنهم والسماح بوصول موظفي الإغاثة إلى كل السكان الذين يحتاجون للمساعدة.

- على جماعات المعارضة المسلحة أن «توقف كل الأعمال العدائية ضد تشكيلات الجيش السوري وقواعده وقوافله وبنيته التحتية.. وضد المؤسسات والبنايات والبنى التحتية الحكومية، إلى جانب الممتلكات العامة والخاصة، وأن لا تعوق استئناف الخدمات العامة».

- يجب عليهم أن «يلتزموا بوقف كل الأنشطة غير المشروعة وفقا للقانون السوري ومن بينها الاغتيالات والخطف أو التخريب، وعليهم أن يعيدوا كل الممتلكات العامة والخاصة التي سرقت خلال العنف لأصحابها الحقيقيين».

- وعليهم أن «يمتنعوا عن التدريب وإعادة التسلح أو إعادة الحشد وتنظيم التشكيلات العسكرية.. ووقف العرض العام أو الخاص للسلاح.. والالتزام - وفقا للقانون السوري - بعد القيام أو الشروع في أنشطة مثل إقامة نقاط التفتيش وتنظيم الدوريات أو أنشطة الشرطة والسماح بالعودة الآمنة لكل المتأثرين إلى أماكن إقامتهم».

التعريفات:

- الأسلحة الثقيلة هي كل الأسلحة ذات الأعيرة أكبر من 14.5 ملليمتر من بينها قطع المدفعية والدبابات والمورتر والقنابل الصاروخية والأسلحة المضادة للدبابات وأنظمة الأسلحة المضادة للطائرات. ولا تعتبر ناقلات الجند المصفحة أسلحة ثقيلة إذا أبطلت أسلحتها التي تزيد على عيار 62.7 ملليمتر.

- الانسحاب من المراكز السكانية يعني تحرك التجمعات العسكرية إلى ثكناتها أو مواقعها المؤقتة على بعد كيلومترين أو ثلاثة على الأقل خارج محيط المراكز السكانية (المدن والبلدات والقرى). ولا ينطبق ذلك على الثكنات الموجودة بالفعل في نطاق المدن والبلدات.

لاجئات في الأردن يتحدثن عن حياتهن المرعبة في حمص

أصبحت عمان الشرقية أو القديمة أو القسم الشرقي من العاصمة الأردنية "مأوى" لأكثر من 70 ألف لاجئ سوري فرو من حملة قوات الأمن العنيفة المناهضة للانتفاضة على حكم الرئيس السوري بشار الأسد.

وتتحدث اللاجئات السوريات بمرارة بالغة في أزقة عمان الشرقية الآمنة عما عانينه في حي بابا عمرو الذي يعد مركزا للحملة العنيفة لقوات بشار الأسد.

فقد تحدثت السوريات عن حياتهن هناك في ظل الخوف من التعرض للاغتصاب والتعذيب وعن حزنهن على فقد كثير من أحبائهن.

وقالت لاجئة لوكالات الأنباء العالمية "الأم ترى ابنها ينذبح قدام عينها (أمامها). ما بتحسن تحكي شيء، جوزها (زوجها) يعتقلوه أمامها ما بتقدر تحكي كلمة...

إن حكت كلمة بدهم يغتصبوها أو يعملوا لها شي شغلة شو بدها تكون يعني في صار هيك لهاً الدرجة موقف تتحمله الأم؟".

وأوضحت المرأة أن النساء دائما ما يكن أهدافا سهلة في حملة القوات الحكومية. وقالت "صار فيه اغتصاب. صار فيه مداهمات. والتفتيش يعني كثير مواقف تنحط فيها تتمنى انك تموت ولا توضع بها لأنه مواقف عن جد مخزية وعيب انه يحكيها. يعني البنت بعد ما يغتصبوها يكتبوا لها يعني "لا إله إلا بشار!".

وقالت لاجئة تدعى أم عبد المالك إن النساء كن يخشين الخروج من بيوتهن خوفا من تعرضهن للخطف أو الاغتصاب. وأضافت "وقت اللي كنا في سوريا ما كنا نقدر نطلع لنجيب أغراض للبيت. بدنا نطلع نجيب خضرة مثلا أو خبز أو أي شيء للأولاد نخاف انه حدا يخطفنا. نخاف نطلع بتاكسي (سيارة أجرة). إذا ما بنعرف صاحب التاكسي ما بنطلع فيها. يقولوا لنا ديروا بالكم فيه خطف.. فيه اغتصابات".

وعادة ما يزعم النشطاء السوريون أن السلطات تستخدم النساء بشكل منظم للي ذراعهم. ويضيفون أن الاغتصاب والسجن والقتل جزء من مخططاتهم العامة. ويقولون إنهم أخلوا الأحياء من النساء خوفا من تعرضهن للاغتصاب أو التعذيب.

وقالت اللاجئة أم محمد وهي تغالب دموعها "أكثر شيء عرض البنات. عندنا بنت عند حي جامع الرفاعي أخذوها أربعة أيام وجابوها لأبوها. قال أبوها لو جابوها لي ميتة أفضل. أنا شفت هذا المشهد شوف عيني. يعني يكون جايبينها ميتة أفضل".

وفي مستشفى الهلال الأحمر، حيث يعالج غالبية اللاجئين السوريين من جروحهم تحنو لاجئة تدعى أم أصيل على ابنها الذي بترت ساقه في الآونة الأخيرة نتيجة لإصابة تعرض لها في أعمال العنف التي تشهدها سوريا.

وقالت أم أصيل "والله الأمهات السوريات وضعهن حزين كثير. اللي عندها شهيد واللي عندها مصاب واللي عندها معتقل. ما في ولا أم في سوريا مرتاحة".

خلال أيام.. ناشطون سوريون يعلنون تشكيل حكومة انتقالية

أكد مصدر مسئول في الحكومة السورية الانتقالية، أن التشكيل النهائي والإعلان عن قيام الحكومة الانتقالية السورية التي يترأسها المعارض السوري والناشط السياسي نوفل معروف الدوالبي، سيتم خلال أيام بأحد كبرى العواصم الغربية.

وقال المصدر، الذي طلب عدم ذكر اسمه، إن الحكومة الجديدة تحظى بدعم كبير من الداخل السوري، خاصة من الفصائل المقاتلة، وإن الحكومة الجديدة ستكون مكلفة بالاتصال بدول القرار العالمي للمطالبة بحق الشعب السوري على البشرية جمعاء بالتدخل الدولي العسكري لإنقاذ المدنيين والأبرياء من المجازر الوحشية والتطهير العرقي الذي يمارس على أساس ديني، وهو ما تقوم به ما وصفها بـ"عصابات الغزاة الإيرانيين"، ومن يناصرها من عصابات آل الأسد ممن يحملون الجنسية السورية.

وأضاف المصدر، أن الحكومة الانتقالية ستعمل على تنظيم عمل كافة الفصائل المقاتلة من أجل الحرية ضمن إستراتيجية موحدة عسكرية ومدنية تنتهي بإسقاط عصابات عملاء إيران وتخليص البلاد من شرها وإجرامها الوحشي، مشيرا إلى أن تشكيل هذه الحكومة كان بسبب فشل كافة المؤسسات التي تشكلت مؤخرا وادعت تمثيل الأمة السورية وأبت حتى أن تتبنى مطالب هذه الأمة ومنها المجلس الوطني السوري وغيره.

وأوضح، أن هذه المؤسسات فشلت في وضع خارطة طريق لإنقاذ البلاد ودحر ما سماهم بـ"الغزاة"، كما أنها فشلت في إيجاد وسائل ثابتة للاتصال بالداخل ونقل صوت الأمة للعالم ونقل معونات العالم للشعب المنكوب.

وأشار إلى أن من مهام الحكومة، حفظ الأمن والاستقرار لمرحلة ما بعد دحر الغزاة، وفرض الأمن وسلطة القانون، وانتهاء بتنظيم انتخابات عامة لاختيار جمعية تأسيسية تكتب دستور سورية الجديدة وترسم مستقبلها ووضعها الدائم.

وكشف عن أن كافة قادة الفصائل المشاركين في الحكومة التي ستعلن قريبا يعتبرون حكاما عسكريين على المناطق التي يتواجدون فيها بأمر رئيس الحكومة، وقال، "إن هذه الحكومة ستعتبر مستقيلة تماما بمجرد انعقاد الجلسة الافتتاحية للجمعية الوطنية التأسيسية، كما سوف يتم منع كافة موظفي هذه الحكومة من الدرجة الأولى من الترشح لانتخابات الجمعية الوطنية التأسيسية".

الجنازات ممنوعة والقبور تبكي ساكنيها في حمص

لا تقرأ الفاتحة بجانب قبر الأمهات في حمص، وما من فرصة لأم أن تسقي التراب الذي يضم ولدها بدموعها، فحمص تدفن موتاها بصمت، وشبيحة النظام وعساكره يحرصون على أن لا يتعرف أحد على أسماء الموتى.

البارحة توفيت أم حمصية، ولا يزال ولدها يبحث عن طريقة يستطيع من خلالها أن يدفن أمه بها، وإن كان إكرام الميت دفنه في كل الشرائع الدينية والمفاهيم الإنسانية، فإن النظام السوري خرق كل القواعد، وبعد أن أودعت الأم في براد إحدى المستشفيات لم يبق من طريقة لإخراجها بسبب بدء انهمار الرصاص في منطقة الوعر.

الحمصي لا يمكن أن يكون مهزوماً لأنه لا يستطيع دفن موتاه، فالحمصي ماتت أمه وأبوه وأخوه وأخته وولده وابنته وبقي هو يهتف لإسقاط النظام، في الوقت الذي ظن الأسد ورجاله أنهم سيخنقون الصوت في حناجر أهل حمص.

لا جنازات في حمص، ولا أولاد لتقبل العزاء، وإن كانت جملة "لا إله إلا الله" تقال في الجنازة، وتهتف في المظاهرة، فإنها في سوريا باتت حصرية في المظاهرات، وربما يكون خوف النظام من روح الحماصنة التي أثبتت أنها لا تكل ولا تمل ولا تخضع قد جعلت من الجنازة الرعب الأكبر لديه سواء في حمص أو في أي مدينة أو قرية سورية.

الموت فقد قدسيته

لمفهوم الموت في سوريا معنى مختلف عن بقية الشعوب، وإن كان للموت وقع مخيف ومحزن بالحالة الطبيعية، فإن نفس الكلمة تكاد تصبح حدثا أقل من عادي في سوريا، وإن كان الحزن على الميت هو القاعدة الإنسانية المطلقة، فإن السوريين لا يجدون الوقت للحزن، ولكنهم ربما يبحثون فقط عن لحظة احترام لهذا الحزن المؤجل إلى ما بعد سقوط النظام المسؤول عن موتهم كل يوم، وعن بقاء أمواتهم في ثلاجات المشافي.

في حمص لا شهادة وفاة، وعلى من يموت قريبه أن ينتظر إلى ما شاء الله لإخراج وثيقة رسمية تثبت ذلك، وما من طريقة لإبلاغ الآخرين بوفاة الشخص، إذ لا اتصالات متاحة في حمص إلا فيما ندر وبطرق خاصة اكتشفها الحماصنة، وأصبح من الطبيعي مؤخراً أن يتم الإبلاغ عن وفاة أحد الأشخاص عن طريق الفيس بوك، وفي بعض الأحيان يصبح العزاء إلكترونياً لتقطع السبل بالناس في التواصل.

إن حالف الحظ ابن المتوفاة، فإن أخاه سيتمكن من دفن أمه، وإن حالفه الحظ مجدداً فسيكون بالإمكان الصلاة عليها ودفنها بالحد الأدنى من احترام الميت.

الشعب السوري وحيد اليوم يرسم لحظة الموت، يسجل بعض الأشعار ليوزعها أوراق نعي إلكترونية، وتبكي القبور ساكنيها بدلا عن أهلهم، ولا يزالون يهتفون لسقوط نظام تفنن في إجرامه، وفي محاولة إهانة الشعب الذي أثبت أنه ما من مجال لإهانته.

الأمم المتحدة تسعى لتوسيع نطاق عمل منظمات الإغاثة

قال مدير عمليات مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية أن المنظمة الدولية تأمل بالحصول على تصريح من الحكومة السورية في الأيام القادمة لإرسال المزيد من عمال الإغاثة إلى البلاد لمساعدة ما لا يقل عن مليون شخص بحاجة إلى مساعدة عاجلة.

وأضاف جون جينغ أن سوريا أقرت بأن هناك «احتياجات إنسانية خطيرة» وبأن هناك حاجة إلى التحرك لكن المسائل المتعلقة بالنقل والإمداد والإيواء ومنح التأشيرات لعمال الإغاثة مازالت قيد النقاش.

ومضى يقول الآن هي مسألة تنفيذ هذه الخطط. في هذا الصدد نحتاج إلى المزيد من الانخراط الفعال مع السوريين حتى ننفذ هذه الخطة.

وأضاف الخطوة التالية في العملية التي نريد إتمامها في غضون أيام... هي الاتفاق على تفعيل الخطة ليتزامن مع هذا حشد الموارد لتحقيقه.

ومن المهم الحصول على موافقة سوريا على الخطة وحشد وكالات الإغاثة الشريكة لما قال جينغ أنها ستكون «عملية إنسانية ضخمة».

وكان جينغ يتحدث إلى الصحفيين بعد المنتدى الإنساني السوري الذي عقد في جنيف لبحث خطة مساعدات قيمتها 180 مليون دولار على مدى ستة أشهر وتستهدف مساعدة ما يقدر بمليون شخص في سوريا.

وقال جينغ أن الخطة التي وضعت بعد بعثة تقييم مشتركة مع مسؤولين سوريين الشهر الماضي – تستهدف تقديم مساعدات غذائية وطبية وأدوات طهي للعائلات النازحة التي فقدت المأوى ومساعدات مالية للأسر التي تأويهم.

وعلى صعيد منفصل طلبت مفوضية الأمم المتحدة العليا لشؤون اللاجئين 84 مليون دولار لمساعدة أكثر من 60 ألف لاجئ سوري فروا إلى الأردن ولبنان وتركيا والعراق. وقالت مليسا فلمينج المتحدثة باسم المفوضية في إفادة صحفية أن المفوضية تلقت 19 في المائة فقط من التمويل الذي طلبته.

وأعلنت الولايات المتحدة أنها ستتبرع بثمانية ملايين دولار إضافية للشعب السوري تخصص في أغلبها للمساعدات الغذائية والرعاية الصحية مما يرفع مساهمتها إلى 33 مليون دولار. وقالت مصادر بالأمم المتحدة أن كندا والصين والسويد تعهدت بتقديم مساعدات خلال المحادثات.

وقال جينغ أن برنامج الأغذية العالمي التابع للأمم المتحدة يهدف إلى مضاعفة عدد من يساعدهم في سوريا هذا الشهر إلى 200 ألف بعد أن كان 100 ألف في مارس آذار.

ولدى سؤال جينغ عن ضمانات من السلطات السورية بشأن إمكانية الوصول قال «هذه هي القضية المحورية لما نتفاوض بشأنه.. الدخول وطاقة الوكالات الإنسانية والمنظمات على الأرض.

وقال «علينا أن نتفق على زيادة هذه القدرة وعلينا أن نتفق على المسائل العملية أي المسائل العملية الخاصة بالتنظيم والإدارة واستخراج التأشيرات للموظفين. «

ومنعت وكالات الأمم المتحدة من العمل في سوريا حيث اللجنة الدولية للصليب الأحمر هي الهيئة الدولية الوحيدة التي تنشر عمال إغاثة.

ووفرت وكالات للأمم المتحدة بعض إمدادات الإغاثة ليوزعها الهلال الأحمر العربي السوري.

وقالت اللجنة الدولية للصليب الأحمر في بيان اليوم الجمعة أن الاضطرابات في سوريا ما زالت تتسبب في معاناة ونزوح جماعي.

وقال الكسندر ايكوي نائب رئيس وفد الصليب الأحمر في سوريا «هناك تدفق مستمر للناس الذين يغادرون منازلهم بحثا عن ملاذ امن... وبينما تمكن البعض من الانتقال للسكن عند أقارب لهم أو أصدقاء أو حتى غرباء عنهم يرغبون في المساعدة لم يكن لدى البعض الآخر خيار بديل عن اللجوء للمدارس والمساجد والكنائس».

وقدمت اللجنة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر العربي السوري عبوات أغذية لستين ألف شخص في عدة محافظات خلال الأسابيع الأخيرة إلى جانب أدوات نظافة ومناشف وبطاطين وأفرشة.

الثورة السورية.. متعة العصيان

■ ابن حزم

يقوم الاستبداد على تشابك المصالح واستخدام القوة والقهر، ويستمر بالاعتماد على جدار الخوف الذي يرتفع في الوجوه لحماية المصالح المتشابكة وتثبيت هيمنة الفئة الحاكمة، ولا يبدأ انهيار الاستبداد إلا بانهيار جدار الخوف، ولقد نجحت الثورة السورية في مناطق واسعة على امتداد البلاد بتحطيم جدار الخوف العالي والسميك الذي بناه النظام طيلة أربعة عقود، وانطلقت الآلة الأمنية والعسكرية والإعلامية في سورية تحاول إعادة بناء جدار الخوف والذعر بالقتل والتشريد والنهب والتضليل، إلا أن الفشل الذريع في إعادة بناء جدار الخوف كان نصيب النظام خلال عام من الإرهاب المنظم، ويمكن الحديث عن عدة أسباب أدت إلى هذا الفشل لعل أبرزها المد الثوري العارم في المنطقة، إلا أن متعة العصيان المبدعة التي أنتجها السوريون تحتل موقع القلب بين هذه الأسباب.

عندما يتحطم جدار الخوف تنطلق الجموع في الشوارع هاتفةً بما يعبر عن انهيار هذا الجدار، وتكون شتيمة الطاغية العلنية وتمزيق صوره وتحطيم تماثيله ورموزه أعلى أشكال التعبير المادي المباشر عن سقوط الخوف، ويكون انهيار هيبة النظام وسقوط هيمنته النفسية على سكان المناطق الثائرة النتيجة الأهم، والمعبر الحقيقي عن انهيار الخوف وبالتالي استعداد هؤلاء للاستمرار في العمل الجدي على تفكيك شبكة المصالح الحامية للنظام وتحطيم قدرته على ممارسة القوة والقهر. والحقيقة إن لهذا العصيان متعة رغم ما يرافقه من مخاطر وموت وآلام، وقبل ذلك فإن عصيان السلطة، أي سلطة أمرٌ مغرٍ وممتع في الأصل، فكيف عندما يكون العصيانُ عصياناً لسلطةٍ غاشمةٍ لم يجرؤ أحد على تحديها طيلة ربع قرن؟

قامَ النظام بأعمال القتل والإرهاب المنظم ليبني جدار الخوف من جديد، وعَمِلَ من خلال البشاعة التي يشيعها على التغطية على متعة العصيان وتحويل كل لحظة عصيان إلى لحظة دموية شديدة القسوة، فكانت ردة الفعل الأسطورية للشعب السوري، في تحويل كل مظاهرة إلى موسم للبهجة، وفي تحويل لحظات إعلان العصيان إلى مهرجانات ومناسبات لممارسة العصيان بمتعةٍ ترفع وطأة القهر، وتمسح بعضاً من ألم الموت.

الغناء والرقص في الساحات الصغيرة في قلب الإحياء كان المظهر الأبرز الذي شاهده العالم على الشاشات في كل مكان، هذا الغناء الذي ينضح بالقوة والفرح والبهجة التي تخفي خلفها ما تخفي من القهر والألم، ومعه الرقص والتمايل الجماعي المنضبط على إيقاع الأغاني، اللذان يشكلان معاً طقساً أسطورياً يُشيع البهجة ويحفظ متعة العصيان في مواجهة آلة القتل التي تزرع الجنائز والموت والآلام في كل مكان.

في المظاهرات الطيارة التي أبدعها السوريون لتقويض هيمنة النظام في المناطق التي لا يزال يبسط هيمنته عليها نوع آخر من متعة العصيان، هنا يهتف بضعة عشرات من الشباب والشابات عدة هتافات منضبطة بصوت شديد القوة وهم يرمون في الهواء قصاصات ورقية ملونة تحمل شعارات معادية للنظام، ويستمر الأمر بضع دقائق وسط ذهول المارة وعناصر الأمن والمخبرين غير المستعدين للتعامل مع أمر كهذا، ثم يتفرق الجميع ويختفون قبل وصول سيارات الأمن القريبة. بالنسبة للمشارك في المظاهرة الطيارة يكون الأمر أشبه بتسديد ضربة رائعة لجدار الهيمنة الذي يرفعه النظام في منطقة من المناطق، وبالنسبة للمراقب الخارجي فإنه يكون في حضرة مشهدٍ مهيب لشباب يهشمون جدار الخوف والهيمنة بشغفٍ وشجاعةٍ منقطعة النظير.

يرافق طقوس التظاهر الإبداعية تلكَ عشراتُ اللافتاتِ والعباراتِ المليئة بالسخرية والتهكم من كل شيء وعلى كل شيء، ليكتمل بذلك مشهد الثورة التي لا تستسلم للقهر وسطوة القوة، والتي لا يسلبها ألم الموت والتهجير والتعذيب القدرة على إشاعة البهجة، وهو بالضبط ما يؤدي إلى استحالة تحول العصيان في سورية إلى أمر لا يجلب إلا الألم، وهو ما يؤدي إلى جعل الثورة فعلاً غير قابل للتوقف، ومن ثم يستحيل على السلطة رفع جدار الخوف في كل مدينة أو بلدة تحطم فيها هذا الجدار.

هكذا نجح الشعب السوري في التقدم على طريق ثورته، وفي إسقاط سطوة النظام ومنعه من إعادة بنائها، وهو شعب يحترف يوماً بعد اليوم صناعة العصيان والتمرد على السلطة، ليس على السلطة السورية الآيلة للسقوط الآن فحسب، ولكنه أصبح يحترف عصيان السلطة أي سلطة، بل يحترف الاستمتاع بهذا العصيان أيضاً مهما كانت قسوة القمع، فليحذر إذاً كل من يفكر في ممارسة السلطة في سورية في المستقبل.

بين الدين والسياسة..
العلمانية... المصطلح المفترى عليه

■ ياسر مرزوق

في قصة "بعيداً عن البيت" يتحدث زكريا تامر عن مأساة تتكرر كل يوم بل كل لحظة تتعلق باغتصاب الأشياء الجميلة، سواء أكانت أحلاماً أم أجساداً من خلال شخصية لميا التي خرجت لتبحث في أزقة دمشق ومخافرها عن زوجها الذي أخذ منها قبل أن يشبع منها وتشبع منه، فتنتهك في بيت منعزل كأي امرأة منتهكة وأي مدينة مستلبة، أو أي وطن مستباح....

هي مخاوف وهواجس نعيشها على ثورتنا الملحمية فغير بعيدٍ عن دمشق وفي شقيقتها الصغرى القاهرة تجري انتخابات الرئاسة برقابة وزير دفاع مبارك وبين المرشحين وزير خارجية مبارك ونائبه ورئيس وزرائه والشارع المصري تغطيه الشعارات الإسلاموية والشاطر " مرشح الإخوان " يدعو للكفاح المسلح إذا استبعد من المرشحين.

يبقى هاجس انحراف الثورة المنتصرة بحكم التاريخ والطبيعة عن شعاراتها الأولى بالمساواة والدولة المدنية هو الخطر الأكبر، هذه الثورة التي حلم بها السوريون منذ عقود طلباً للنجاة من الخوف والهوان والإذلال والقمع والنهب، وهي ثورة منتصرة لا محالة لأنها اختارت أن تدفع يومياً من دماء خيرة أبنائها الثمن الباهظ لما تنشده من حرية، ولكنها في لحظة احتفالها بانتصارها ستكون محتاجة إلى ثورة أخرى تخلصها مما علق بها من طفيليين ومنافقين وأدعياء وباعة جوالين.

نسعى في ما يلي إلى إعادة طرح موضوع العلمانية على بساط التعريف وبيان المفهوم والمضمون والتطور ونبدأ بالوقوف على الدوافع التي تدفع اليوم إلى معاودة النظر في العلمانية، والتي نلخصها في أمرين أولهما الغموض الذي عاد من جديد كي يلف العلمانية ويجعل لها صورة محرفة ومشوهة عند الشباب وبين أفراد المجتمع عامة، صورة ما انفك دعاة الانغلاق والتعصب واستعباد الأرواح والأبدان يعملون على ترويجها ويمعنون في إخفاء حقيقتها، فإذا بالعلمانية حسب زعمهم "مفهوم غريب ودخيل وملحد وفاسد". أما الأمر الثاني الذي دعانا إلى التذكير بالعلمانية ونفض الغبار عنها وإجلاء صورتها وإظهار حقيقتها فهو الظروف والأوضاع الراهنة التي يمر بها العرب والمسلمون والحروب الطائفية والدينية التي تجري مقدماتها في العراق وتتهدد باقي البلاد العربية والإسلامية وتمتد شظاياها إلى بلاد أخرى كثيرة شرقا وغربا حتى لكأن العالم يوشك أن يغرق في عتمة "قرون وسطى" جديدة، مما حتم على حملة الأنوار وعلى التقدميين والأحرار في بلادنا العربية والإسلامية أولا، وفي سائر أرجاء المعمورة ثانيا التنبه إلى خطورة التيار وإلى العمل على إحياء القيم المدنية الكبرى والبحث عن قارب النجاة من طوفان الدم الطائفي والعنصري الذي بات يحصد أرواح الآلاف في بلد كالعراق، ويقرع طبوله في دمشق والقاهرة.

في العالم العربي لا كلمة تعلو اليوم على الديمقراطية، لا على المستوى الشعبي ولا على مستوى النخب، الجميع يبدي اتفاقه عليها، والغالبية يجدها الحل المنتظر لمشاكل الدول العربية التي كانت ترزح تحت الاستبداد السياسي.

الشعوب تتطلع للانتخاب أكثر مما تتطلع للمرشحين، والمرشحون يسعون للحكم متطلعين للسلطة وللتشريع معا، وبينما يتصدر المحللون وسائل الإعلام للتنظير عن الديمقراطية كمكتسب عظيم للشعوب الثائرة، ما زال بعض النقاد يؤكد أنها مجرد آلية لكنها ستنضج مع الوقت لتصل إلى جوهرها الأساسي المتمثل في المشاركة والمساواة، وهنالك أقل القليل ممن ينظر أن العلمانية الغائبة عن المشهد العربي، وحدها السماء التي تضمن حق الجميع وحريتهم.

والعلمانية كمفردة على عكس مفردة الديمقراطية، لا تجد من يتجرأ على المطالبة بها على أي مستوى، لأنها مفردة غائبة كليا من القاموس السياسي العربي، تماما كما هي محرمة ومجرمة على المستوى الديني والشعبي بشكل عام، فلماذا استطاعت الديمقراطية الوصول للشارع العربي بينما ظلت العلمانية طي الكتب القليلة التي تناولتها؟

لقد اجتهد الإسلاميون المعزولون عن الحياة السياسية تحت حكم العسكر، في كسر الفزاعة كصورة تلازمهم، تماما كما كانوا مستميتين نحو المشاركة السياسية، لقد قبل السياسيون الإسلاميون أن تتوقف عجلة الخلافة، فسمحوا أخيرا برفع الوصاية الدينية عن الحكومة، لأنهم وجدوا أنفسهم في ذلك مضطرين إلى رفع شعارات العدل وتداول السلطة، من خلال مفهوم الديمقراطية، ليطمئن الآخرون إليهم، وهي بكل الأحوال الآلية الوحيدة التي تضمن لهم حق الوصول للحكم، فلم يكن اجتهادهم مقتصرا على العمل السياسي، إنما انطلق أولا من المطبخ اللغوي في تأصيل الديمقراطية على أنها ليست إلا الشورى الإسلامية مع الاختلاف في اللفظ فقط. الإسلاميون.. أكبر فائز في بلدان الربيع العربي..

لقد نالت الديمقراطية جواز مرورها الأول للشارع من خلال هذا التأصيل، والديمقراطية كآلية على الرغم من أنها نضجت في الدولة الغربية الحديثة، إلا أن الإسلاميين قبلوا لأنفسهم الانتصار لها، ليس فقط لكونها طريقهم الوحيدة للحكم، بل لأنها أيضا لا تفرض أي تشريع مسبق، إنما يبقى العمل التشريعي فيها يختلف من دولة لأخرى، وهذا ما يناسب الأحزاب الإسلامية تماما، لأنها تصل للحكم وهدفها الأول تنفيذ وصايتها الاجتماعية، فهي تحمل للناس تشريعها الكامل المعالم في كيفية حكمهم وتسيير حياتهم، بدءا من الطريقة التي يجب أن تغطى بها المرأة شعرها، وليس انتهاء بالجائز والمحرم من البرامج التلفزيونية، لقد وصلت الديمقراطية للشارع العربي إذن، لأن الثقافة العربية ما زالت في معظمها ثقافة متدينة تتقبل فقط ما يسمح به الجسر الديني للمرور.

فلماذا لم تمر العلمانية وظلت معلقة بباب جهنم، على الرغم من محاولات بعض القوميين العرب، ولماذا لم يمررها الإسلاميون تحديدا كما مرروا الديمقراطية؟ إن المبدأ العلماني الدنيوي يحمل في جوهره حقيقة لا يسهل الالتفاف عليها إسلاميا، ولهذا لم ولن يجتهد الإسلاميون في محاولات تأصيلها مطلقا، فهي لا تخدمهم بل ربما تضرهم، هذا لأنها أولا لا تشكل لهم طريقا للسلطة والحكم فلا يتحفزون إليها، ولأنها ثانيا لا تنفصل عن مبدئها الدنيوي الواضح والحاسم في أن العمل التشريعي هو عمل محض مدني تناقشه العقول، من دون أي جبرية، كما لو كان قضية رأي عام، وهو ما يخالف هدفهم الأول في تنفيذ وصايتهم الاجتماعية على الناس.

المبادئ العلمانية تركز على حرية المجتمع في تشريعه للقوانين التي تحكمه من دون أن تلزمه بأي شرط مسبق، وهذا يعني أنهم لن يستطيعوا حتما، إلزام المجتمع بتشريعهم.

إن مبادئ المشاركة والمساواة في الديمقراطية، تضعف كثيرا أمام الشكل الآلي للانتخاب والتصويت، فيسهل جدا الالتفاف إلى الصورة الديمقراطية من مراكز اقتراع ودعايات حزبية، والانشغال بها عن تحقيق المبادئ، لكن ذلك لا يمكن أن يحدث مع مبدأ العلمانية الدنيوي، فهو مبدأ قاطع من حيث حرية المجتمع والاعتراف له بنضجه وحقه في اختيار تشريعه وقوانينه.

سيبقى قبول الديمقراطية ومجافاة العلمانية في العالم العربي يحمل سؤاله المهم، لماذا لا تُرفع الوصاية الدينية عن المجتمع بالقبول بالعلمانية، بمثلما رُفعت الوصاية الدينية عن الحكومة باسم الديمقراطية.

تعريف العلمانية:

ونقصد بالعلمانية، بشكل عام، الضرورة الاجتماعية والسياسية لفصل الممارسات الحكومية أو الدستورية أو القضائية عن الدين أو عن المعتقدات الدينية، لكن التعبير يستعمل أيضًا للدلالة على ذلك المبدأ الداعي، سواء في الممارسات العامة أو الخاصة، إلى تفضيل الأفكار والقيم العلمانية على الطرائق والقيم الدينية. ما يعني، أنه من أحد جوانبها، يمكن أن تفهم العلمانية بأنها المبدأ الداعي إلى الانعتاق من القوانين الدينية وما تبشر به، وإلى الانعتاق من فرض المؤسسات والحكومات الدين على الناس ضمن إطار دولة تتخذ موقفًا حياديًا في قضايا الإيمان، ولا تعطي الأديان أية امتيازات و/أو أية مساعدات خاصة.

وقد اختلفت الحجج التي تؤيد العلمانية من بلد إلى آخر ومن عصر إلى آخر. ففي أوروبا ارتبطت العلمانية بحركة التنوير والحداثة التي أدت في نهاية المطاف إلى الابتعاد عن القيم الدينية التقليدية وإلى فصل المؤسسات الدينية عن الدولة التي أضحت ملكا لجميع مواطنيها بغض النظر عن معتقداتهم الدينية أو الفلسفية، وهي في الولايات المتحدة ارتبطت بتأسيس الدولة وساهمت في حماية الدين من التدخلات الحكومية.

وقد استخدم التعبير لأول مرة عام 1846 من قبل الكاتب والفيلسوف البريطاني جورج هولي أوك. لكن، ورغم أن هذا التعبير كان حديثاً بحد ذاته، إلا أننا نجد دائمًا عبر التاريخ تلك المفاهيم العامة التي استند إليها، والمرتبطة بحرية التفكير؛ وخاصة بالنسبة لنا كعرب، نجد هذه المفاهيم لدى أولئك الفلاسفة الذين كانوا يدعون إلى التمييز بين الفلسفة وبين الدين كابن رشد ومدرسته على سبيل المثال.

في علمانية الدولة:

بوسعنا أن نقول، من الناحية السياسية، أن العلمانية هي اتجاه وفهم وممارسة يهدف إلى فصل الدين عن الحكومة، ما يعني تخفيف الصلات بين هذه الأخيرة وبين ما يمكن تصوّره دينًا للدولة بحيث تستبدل القوانين المستندة إلى الكتب المقدسة (كالتوراة والأناجيل والقرآن) بقوانين مدنية تلغي أي تمييز بين الأفراد على أساس ديني؛ ما يعني، على أرض الواقع، تعميق الديمقراطية وحماية حقوق الأقليات الدينية.

من هذا المنطلق، يفضل العلمانيون أن تتخذ مؤسسات الدولة والقضاء، ومن خلالها السياسيون، قراراتها من منطلقات علمانية وليس دينية؛ ويمس هذا، بشكل خاص، مفاهيم مدنية واجتماعية كالزواج والطلاق والإرث الخ... وقد أضحى هذا المفهوم مقبولا، بشكل أو بآخر، في معظم أرجاء العالم، ولم يعد يرفضه في أيامنا هذه إلا الأصوليون (من المسيحيين والمسلمين واليهود) الذين ما زالوا إلى اليوم في مجتمعاتنا -ومع الأسف- قوة سلبية مؤثرة.

في المجتمع العلماني:

تتجلى العلمانية في المجتمعات المعاصرة، وخاصة الغربية منها، بقبول مبدأ الحرية الدينية الكاملة. حيث بوسع المرء أن يؤمن بأي دين أو أن لا يؤمن على الإطلاق، أن يبقى على دينه أو أن يتحول إلى دين آخر بكل حرية. وهذا لأنها مجتمعات لا تقر الأديان فيها سياسات الدولة التي يفترض أن تخدم المصالح المشتركة لجميع مواطنيها - مع التأكيد أن هذا لا يعني البتة رفض الأديان أو محاربتها.

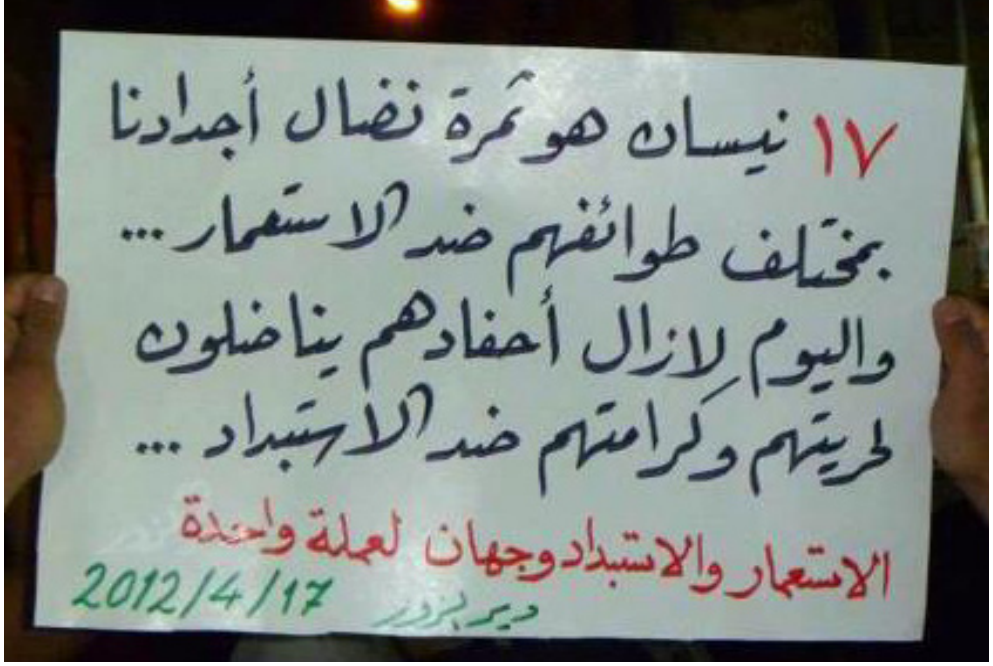

من هذا المنطلق يمكن تعريف المجتمعات العلمانية بأنها: " المجتمعات التي ترفض التماهي الكلي مع أية رؤية أو مفهوم محدد لطبيعة الكون ولدور الإنسان فيه. المجتمعات التعددية وليست المجتمعات المتجانسة وذات اللون الواحد المجتمعات التي تؤمن بالتسامح وتمارسه، ما يعطي هامشاً أوسع للحرية الفردية".

ما يعني أن القيم التي تستند إليها المجتمعات العلمانية هي:" الاحترام الكبير لحقوق الأفراد والأقليات، العدالة بين الجميع، المساواة في الفرص المؤمنة أيضاً للجميع. خطي كل الحواجز العرقية والإثنية والطبقية. يمكن أن تكون العلمانية أخلاقياً. "

الفكرة العلمانية والحضارة العربية:

الفكرة العلمانية وليدة التطور التاريخي الذي شهده المجتمع البشري ونتاج تحولات تاريخية أكدت حاجة البشر إلى إدارة شؤون الاجتماع والسياسة بأدوات وآليات عقلانية وأرضية وبالتعاقد الذي يقع الاتفاق عليه دون تدخل أي قوة متعالية. وكانت الثورة البورجوازية القائمة على نمط الإنتاج الرأسمالي وبنيته الفكرية والثقافية والقيمية هي التي آذنت بوجوب رفع القيود المادية والمعنوية المكبلة للإنسان بما فيها القيود التي فرضتها المؤسسة الدينية وضرورة إقرار حرية المعتقد والنظر إلى الدين باعتباره شأنا شخصيا ومسألة خاصة تحسم بين الإنسان ومعبوده، ولا دخل لأحد فيها، جماعة كان أو فردا. ولقد نكصت البورجوازية بعد ذلك كما هو معروف وغلبت عليها، وهي تنزع منزع القوة الرجعية المحافظة، نزعة استغلال الدين لصالحها واستحضار أرواح العالم القديم أملا في تأبيد نفوذها وكبح جماح القوى الصاعدة التي تهدد بتجاوزها.

أما علاقة الفكرة العلمانية بالثقافة العربية الإسلامية عبر تاريخها الطويل فهي لا تحتاج إلى دليل رغم وجود من ينفيها ويزعم - بناء على نفيها- أن مجد الحضارة العربية الإسلامية قام على أسس ودعائم دينية. لكن الإقرار بوجود الفكرة وتأثيرها في مجرى تطور هذه الحضارة وفي منح لحظات إشعاعها وقوتها ليس من شأنه أن يدعو إلى القول بأن تلك الفكرة كانت متبلورة ومكتملة منذ البدء لأن الأمر كان أقرب إلى التحسس وينبغي أن ينتظر نضج المعطيات واستعداد البيئة الحاضنة وصعود التركيبة الاجتماعية الحاملة كي يتشكل في رؤية واعية وهو ما تم إبان الثورة البورجوازية قبل قرون من الآن. لقد تحسس المتعقلون والمتنورون وأهل الرأي والاجتهاد من بُناة الحضارة العربية قيمة الفصل بين الشأن الديني والشأن الدنيوي حتى يستوي أمر المدينة المنشودة وسوغوا ذلك، في ظل النظام الإقطاعي وأيديولوجيته الدينية، بذرائع وحيل مثل "مراعاة أسباب النزول" و"مراعاة أحوال الوقت" و"الحيل الشرعية" و"دفع المضار" الخ.. وغالبا ما مورست القناعات ذات النسغ العلماني من دون تبريرات نظرية سوى ما كان من قبيل الخطرات والتلويحات سواء تم ذلك في ميدان العلوم أو الأدب أو الاجتماع أو السياسة. ونريد أن نستدل على دور المنظور العلماني في تطور الحضارة العربية الإسلامية بما بلغته هذه إبان العصر الوسيط، الذي كان ظلاما على أوروبا والغرب (بعد استثناء إسبانيا الأندلسية). وبالعودة إلى تراث الحركة الماركسية التونسية الحديثة نفسه في سنوات الثمانين من القرن الماضي وإلى المساجات التي قابلتها بالحركة الأصولية حول موضوع الدين والدولة، وقضية المرأة، نقرأ في سياق الحديث عن العلمانية وفضائلها ما يلي، وهو من صميم مضمون هذا البحث: "ينبغي البحث عن سر تطور الحضارة العربية إبان العصر الوسيط لا في الإيديولوجيا الدينية نفسها ولكن أولا وقبل كل شيء في الواقع المادي للعرب الذين انتقلوا نهائيا مع مجيء الإسلام إلى المجتمع الطبقي وشهدوا منذ الدولة الأموية تركز النظام الإقطاعي (...) وإذا أمعنا النظر في الجانب الفكري لهذا التطور الحضاري فإننا نجد أن المنطلقات التي ارتكز عليها هي في تناقض مع الإيديولوجيا الدينية الإسلامية القائمة على تفسير ميتافيزيقي للكون والمجتمع. إن أهم عنصر فلسفي تطور في هذه الفترة وحكم بالتالي تطور العلوم والثقافة هو العقلانية المبنية على بعض التصورات المادية. وكمثال على ذلك نذكر المعتزلة وابن سينا والمعري وابن رشد لقربهم من أذهان القراء. فالمعتزلة هم أصحاب نظرية القدرية (نسبة إلى القدرة لا إلى القدر) التي تؤمن بحرية إرادة الإنسان ضد الجبرية الإيديولوجية الإسلامية في ذلك الوقت (...) أما المعري فالجميع يعلم أنه اعتبر ذات خطرة أن "لا إمام سوى العقل... "(...) وطور ابن رشد العناصر المادية في فكر أرسطو فأكد أن المادة والحركة خالدان ولم يقع خلقهما كما أنكر خلود الروح والحياة الآخرة (...) ومن جهة أخرى طور ابن سينا المعارف التجريبية القائمة على التجربة والملاحظة والحجة المنطقية (...). إن الخيط الرابط بين جميع هذه المواقف هو الصراع بين الفكر المادي والفكر المثالي الذي يجسمه الفكر الديني أجلى تجسيم. وقد شق هذا النزاع حتى المعارف اللغوية فانقسم اللغويون إلى قسمين: القائلون بأن اللغة ظاهرة اجتماعية تاريخية وبالتالي من صنع البشر والقائلون بقدمها وبكونها من خلق الله. إن جميع هذه العناصر المادية العقلانية هي في الحقيقة الأساس الفلسفي لذلك التطور الحضاري الذي عرفه العرب في العصر الوسيط وفي ظل الهيمنة الإقطاعية. وما أن استنفذ النظام الإقطاعي إمكانياته التاريخية حتى دخل بدوره في أزمة خانقة... ". (في اللائكية، حمه الهمامي، 1988، ص59 – 61).

تعدنا إطالة الشاهد الذي يستجيب لحاجة هذا المقال والذي يذكر بما سبق من إسهامنا الفكري في القضايا التي نراها تعود عودا على بدء اليوم، وإن كان الشاهد يبقى مقتضبا ومجملا ولا يغني من العودة إلى الكتاب، فأمثلة التمشي العقلاني والرؤى "العلمانية" كثيرة في التراث العربي الإسلامي وفي الممارسة الواقعية سواء تعلق ذلك بسياسة الساسة أو بأدب الأدباء ونقد النقاد وقضاء القضاة أو بغيره، حيث كان يوجد من يعتبر هذه الأنشطة "الدنيوية" بمعزل عن الدين، وأن تدينها لا يزيدها فضيلة على سواها. وأمام الراغب في التوسع والتزود جهود جمة عربية وتونسية، داخل الجامعات وخارجها، لباحثين حرصوا، وإن بتفاوت ومن مواقع ومنطلقات غير متجانسة، على الاقتراب من الحقيقة وإصابة الموضوعية في قراءة ومعرفة التاريخ وإعادة فتح الملفات المحتنة ومعرفة أسباب التطور وعلله وأسراره.

العلمانية سبيل الخلاص من آفة الطائفية والتكفير واستغلال الدين:

سعينا إلى الإحاطة بالعلمانية مصطلحا ومفهوما ومخاضا تاريخيا وجذورا في تربة الحضارة العربية الإسلامية، ونرى اليوم كيف يعود الحديث عن العلمانية في مهد تطورها الغربي وفي البلدان التي اعتمدتها نظاما ونصت عليها في دساتيرها وتشريعاتها. وذلك فضلا عن الحديث الذي يجري بين الفينة والأخرى على ألسنة المفكرين وأهل الرؤى والبدائل السياسية والمجتمعية في البلاد العربية والإسلامية، وعبر الفضائيات، إن بالرفض أو القبول. وما من شك في كون العود على بدء في موضوع العلمانية سواء في مواطنها التقليدية أو في مشرقنا مردّه إلى ما يشهده العالم عامة والبلاد ذات الديانة الإسلامية خاصة، من استباحة لأبسط حقوق البشر ومن تضييق على حرية التفكير والتعبير والرأي واللباس والطعام والشراب والصداقة والتنقل والسفر الخ... ومن توظيف للدين في الاعتداء والقتل والترهيب والترغيب فضلا عن السياسة والانتخاب وعامة الشأن المجتمعي والدنيوي، بما جعل العلاقة بين الدين والدولة والدين والسياسة، في حاجة إلى تسوية جديدة من شأنها إعادة الاعتبار للحريات العامة والفردية التي تضمن للإنسان، مهما كانت عقيدته، أن يتمتع بحقوقه الأساسية في ظل دولة ديمقراطية وضمن عقد اجتماعي قائم على مبدأ المساواة في المواطنة.

وما من شك في أن المشهد الدامي لما يحدث في العراق وفلسطين، وبلدان عربية وإسلامية أخرى، من تناحر طائفي وقتل على الشبهة المذهبية وتقتيل بالجملة لأبناء هذه الطائفة أو تلك سواء داخل مواطن تعبّدها أو مواطن تواجدها في الحياة العامة، هو الذي كان له دور كبير في العودة بموضوع الحل العلماني، إلى الواجهة، وفي اعتباره، عند عدد متزايد من أهل النظر، الأفق الوحيد ما دام ينبني على الفصل بين الشأن المعتقدي، وهو فردي وخاص، والشأن السياسي، وهو مجتمعي وعام، وما دام بالتالي كفيلا بوضع حد للاقتتال الطائفي ولمصادرة أبسط الحريات واستعباد الأرواح فضلا عن الأبدان. فبلاد كالعراق أو فلسطين أو سوريا أو السودان أو لبنان، أو غيرها من بلاد الشرق والغرب، لا يستوي أمرها إلا بإقرار العلمانية في تنظيم العلاقة بين الدين والدولة، ما دامت بلادا متعددة الأديان والعقائد والطوائف، لا يجوز لطرف واحد أن يبسط نفوذه ويفرض سلطانه على بقية الضمائر بالقوة المولدة للانفجار، وحمامات الدم. بل إن عدم الإذعان للحل العلماني على الواجهة الفلسطينية، مثلا، كان سببا حتى الآن في تشتيت الصف السياسي والتنظيمي للحركة الوطنية الفلسطينية وشرذمتها إلى رايات مذهبية وطائفية متعددة تعمل كل منها لحسابها الخاص، وتأبى التنازل عن نرجسيتها الفصائلية لحساب الحركة، بما أضعف مردود المقاومة ووفر على المحتل متاعب جمة. لكن ولئن كان في موروث الدولة العربية والإسلامية عناصر علمانية هي التي شكلت قاعدة للخلق والإبداع والتطور الحضاري فإن مهمة إرساء النظام العلماني اليوم، باعتباره حجر زاوية في الدولة الديمقراطية الحديثة، لا نراها منتظرة من أنظمة الاستبداد والفساد والعمالة القائمة حاليا، ولذا فإن استكمال هذه المهمة التاريخية مرتبط بالتحولات الديمقراطية الوطنية التي على قوى التغيير الحقيقي أن تنجزها والتي نعيش مخاضها العسير راهنا. وليس معنى ذلك أن على هذه القوى انتظار تلك الساعة الفاصلة وتعليق تحركاتها، بل المطروح هو العمل الدؤوب والنضال اليومي من أجل تقريب تلك الساعة ومراكمة المكاسب مهما كانت جزئية وعدم الاستسلام لتيار الردة.

لكن ذلك لا يكفي لكي يجعل من العلمانية قناعة واسعة النفوذ في المجتمع خصوصا أمام مساعي التشويه التي ما انفك شيوخ التكفير يلحقونه بها، وأمام الأحكام المسبقة ذات الخلفية التكفيرية التي زرعتها الدولة القائمة عبر المؤسسة الدينية وعلى منابر المساجد والجوامع، وعبر المؤسسة التربوية والتعليمية والثقافية والقيم السائدة ذات الحمولة الإقطاعية والعبودية في جانب كبير منها.

إن الحل العلماني الذي هو بمثابة قارب النجاة لكافة أفراد المجتمع مهما باعدت بينهم المعتقدات، يكتسب مصداقيته ويلقى الآذان الصاغية ويعمّر حين يتنزل – وهو القيمة الكونية - في الهوية الثقافية والحضارية الخاصة، ويُطرح ضمن مشروع النهضة الوطنية والقومية وبرنامجها المناهض للهيمنة الأجنبية.

ويزعم دعاة الدولة الدينية وأعوان الدكتاتورية وهم يحاربون الديمقراطية أن العلمانية تعني الإلحاد وأنها نبتة غريبة عن التربة العربية والإسلامية، متعمدين خلطا تكذبه حقيقة العلمانية مفهوما وتاريخا وتشريعا، وجاهلين أو متجاهلين حقائق التراث الحضاري العربي والإسلامي، وهم الذين اعتبروا الحرية والديمقراطية – كما العلمانية - نبتة مستوردة ولا تصلح إلا لأهلها.

لكن من يطرح الحل العلماني من موقع الاستخفاف بمعطى الهوية الوطنية والقومية، والاصطفاف وراء المحتل "الديمقراطي" والمستعمر "الحضاري" وتبنّي نقده العنصري والصليبي لديانات الآخرين والإسلام تخصيصا، يخسر الجولة حتما بل ويقدّم خدمة جليلة لأعداء الفكرة العلمانية والمشروع الديمقراطي الذين سيظهرون بمظهر المدافعين الوحيدين عن الهوية، المناهضين الوحيدين للاحتلال والوصاية الأجنبية، الرافضين الوحيدين للإلحاق والإذلال!.

الثـــورة بين ظـلام الواقـــع وإشـــراق الحلـــم

■ خالد كنفاني

تجـرك مخـاض الثورة السـورية حاملاً فـي أحشـائه حلماً صافيـاً نقياً قوامه الحرية والعدالة. لم تكن هاتان الكلمتان تعنيان أي شـيء لأي مواطن سـوري، حتى أنهما لم تكونـا لتخطرا علـى بـال أحـد، أو أن يجرأ أحـد على التفكر فيهما.

كان طـلاب المـدارس السورية وعلى مدى أربعين عاماً يهتفون "وحدة، حرية، اشـتراكية" دون تردد ودون وعي فـي آن معـا. فقد كانت تلك الشـعارات لازمـة صباحيـة تتكـرر كمـا أي فعـل روتيني في حياة الإنسان. إلا أن أحداً لم يحـاول مجرد المقارنة بين ما يصيح به من شعارات وبين الواقع المرير.

لم يتحقق من شـأن الوحدة شيء علـى مـدى أربعيـن عامـاً، بـل علـى العكـس، كانـت عبـارة "عـدا العراق" تزيّن كل جواز سـفر سـوري بينما لم تكـن قـوى "الامبرياليـة" وغيرها من الـدول المسـتثناة. وهكذا تـم تزييف الوعـي باتجاه الوحـدة وبطريقة فجة، وبلغ الأمر حد السخرية عندما كان عدد لا بأس به من المسجونين السياسيين يقبعون في المعتقلات بتهمة انتمائهم إلى "بعـث العـراق"! وكأن حزب البعث نفسـه قد أصبـح حزبين بـل ومن ألد الأعداء أيضاً.

لن نخوض في مسألة الاشتراكية فقـد حملـت للسـوريين مـن المهانة والاستخفاف الشـيء الكثير، فشعارات "توزيع الثـروة الوطنية" و"الأرض لمن يزرعها" تم اسـتغلالها أسوء استغلال، كمـا أن "المجهـود الحربـي" الـذي تم تسـخيره لمواجهـة "العـدو" انعكـس مزيداً من الثروة والغنى لطبقة معينة بينما انعكس بؤسـاً وإذلالاً على أبواب المؤسسات الاسـتهلاكية للظفر بعلبة منادیـل أو قليل من المـوز المتعفن أو السكر الممزوج بالملح.

المسـألة الأهم هـي الحرية. كان يتـم توجيه هذه المسـألة على الدوام باتجـاه "الآخريـن"، فيتم المنـاداة بها مـن أجـل فلسـطين وجنـوب لبنـان وشعوب الواق الواق بينما يرزح الشعب السـوري تحت نير الاستعباد. لم يعرف السـوري الحرية لأنه لم يفقه معناها بالأساس ولأنه لم يكن بالإمكان مجرد مناقشـتها خارج السياق المرسوم لها، ولهذا غابت عن وعي السوريين عقوداً طويلـة مثلمـا غابـت قبل ذلـك قروناً طويلـة. ولهذا لم يكن السـوري يفهم اضطهاد الموظف له على أنه اسـتعباد ولكن على أنه "مجرد تعقيد" أو "تلميح للرشـوة"، وهي أمـور حقيقيـة إلا أن جوهر هذه المعاملة السـيئة هو إذلال المواطنيـن وامتهـان كرامتهـم بأيـة طريقة.

كان الربيـع العربـي المطل على سـوريا من الخارج بمثابـة الريح التي دفعـت الأبـواب المغلقـة وحطمـت النوافذ السوداء. كانت إشراقة الشمس الأولى في درعـا، تلك المدينة الوادعة والبسـيطة، وفيهـا تشـكلت ملامـح الوعي السـوري الأول بمعنـى الحرية الواسـع. مـن المحتمـل أن الأطفـال الذيـن كتبوا الكلمـات الأولى في درعا لم يكونوا مدركين تماماً لما يكتبونه، ولكـن الأكيـد أنهـم أرادوا التعبير عن حريتهم بطريقتهم البسيطة الفطرية وبوسائل بسـيطة أيضاً. ولكن النظام الخائف الذي نخره السـوس كان يخاف من ظلـه، وهو ما يبرر العنف الشـنيع الـذي مـورس بحـق أطفـال أبرياء لا يوجد قانون في العالم يسـمح بمجرد مسـاءلتهم لكونهـم قصّـر. إلا أن النظام السـوري الذي لـم يوفر الحجر والشـجر والحمير من ظلمـه كان يرى في هؤلاء الأطفال مشـروع جواسيس ومخربيـن وإرهابيين هدفهم "إضعاف نفسية الأمة" و"النيل من هيبة الدولة" و"معـاداة أهـداف الثـورة". حتـى أن الأخيـرة تم حذفها فيمـا بعد نظراً لأن كلمـة ثـورة أصبحت ملغومـة وانقلب سحرها على النظام.

إن أهـداف الحريـة والعدالـة هي مـن أرقـى الأهـداف التـي يمكـن أن تسـعى إليها أية ثـورة. ولهذا فإن حلم السـوريين والـذي يناضلـون اليـوم لتحقيقه ليس حلماً مشـروعاً وحسب، بل إنه حق مـن حقوقهم. غير أن هذا الحلـم وكغيـره من أحلامنـا يصطدم ومنذ أكثر من عام بالكثير من الصخور والمعوقـات المتوقعـة والمفاجئة على حد سـواء. فالشعب السـوري رأى كيف تركـت الولايات المتحـدة وبأقي القوى العظمـى أنظمـة بـن علـي ومبـارك والقذافـي تتهـاوى تحـت الضغـط الشـعبي الهائـل للتحرر مـن الطغيان فكان أن تفاءلوا ودبت فيهم الحماسـة الجماعية بأن قرب سـقوط الاسـتبداد بـات قريباً جـداً وأن حلـم الحرية بات علـى الأبـواب. وانطلقـت التظاهرات السلمية لتعم مختلف أرجاء الوطن ولو بالتدريج وبكثافة مختلفة هنا وهناك، إلا أن ردود الفعـل العربيـة والعالميـة كانت مختلفة جداً هنا.

لم تكـن الصدمة مـن المعارضة والمناضلين بأقل من ذلك. فقد فوجئ الناس بـأن معظم أولئـك الذين كانوا يدبجـون الكتب والمقـالات في الحرية والقضـاء على الاسـتبداد كانـوا على درجة من ضعف الإدراك وقلة الإحساس بالمسـؤولية وانعدام الخبرة السياسية ليتحولـوا إلى عـبء على الثـورة بدل الدعم لها. ويبدو للمتتبع لتطور حركة المعارضيـن فـي الخـارج بالمقارنـة مـع تطور حركـة الثورة الشـعبية في الداخـل حجـم الفجوة بيـن الطرفين. فقـد فوجئ المعارضـون بقيام الثورة أساسـاً، واضطـروا للاسـتيقاظ مـن سـباتهم الطويـل وبـدا واضحـاً حجم التخبـط الكبير فـي صفوفهم، وبدأت الأمور تتشكل شيئاً فشـيئاً إلى أن تم تشكيل المجلس الوطني في اسطنبول مما أعطى جرعة أمل للحراك الشعبي فـي الداخـل. إلا أن هـذا الزخـم مـا لبـث أن تراجع بسـبب كثـرة الخلافات والانشـقاقات والاسـتئثار بالمناصب وشـبهات التمويل والمصاريف الطائلة وهو ما سبّب انتكاسـة كبيرة في أداء المعارضـة ناهيـك عن مـدى إقناعها للمجتمـع الدولي بقدرتهـا على قيادة المرحلـة الانتقاليـة، وهو مـا انعكس للداخـل بضعـف القناعـة بإمكانيـات وكفـاءة رمـوز المعارضـة التي فقدت الكثيـر مـن بريقهـا أو رصيدهـا الجماهيـري السـابق. ولعـل مـا زاد الطيـن بلة هو العدد الهائل ممن ركب الثورة وبدأ بالصراخ والتسول باسمها، ومعظم هؤلاء إما مسـؤولون سابقون أو منتفعـون من النظام وباتوا يبحثون عن منافع أخرى في مكان آخر.

كمـا يخطئ مـن يظـن أن هناك بالفعـل أصدقـاء للشـعب السـوري، وكل الحشـود الهائلـة مـن المؤتمرات والندوات والتي يزيد عدد المشـاركين فيهـا عـن سـتين وسـبعين دولة هي مجرد اسـتعراضات ممجوجـة وتوزيع للابتسـامات ووعود بالنصـر، ومن ثم ينفـض المجلس ويعـود كل إلى بلده مع أمل موعد للقاء آخر في بلد آخر مع المزيد من الأصدقـاء. لقد تعب الناس في الداخل من كثرة الوعود والتنظيرات فقرروا الاعتماد على أنفسـهم سـواء سـلمياً أو عسـكرياً وهو ما لم يتوقعه لا أصدقـاء ولا أعداء الشـعب السـوري علـى حد سـواء. يـرى كثيـرون أنه آن لمعارضـة الخـارج أن تخاطـر ولو مرة واحـدة بالدخول سـراً إلى أحـد المدن المنكوبـة التي يصرخون باسـمها ليل نهـار، غيـر أن ردوداً من قبيـل "وهل سنأتي ليزيد عدد المتظاهرين واحداً؟" أو "نحن ندعم الثورة بنشر الفيديوهات علـى الفيـس بـوك" تثير الكثير من الغيـظ والملل من معارضة اسـتمرأت العيش في الخارج ولا تريد حتى مجرد التضحية بأسـبوع من وقـت إجازاتهم الفاخرة من أجل "وطنهم" الثائر.

وبينمـا لا يـزال الحلـم يـراود السوريين أكثر وأكثر كل يوم، لا تزال العقبـات تزيـد مـن عزيمتهم وتشـد مـن أزرهـم. وقـد راهنـت كل القوى الكبرى على قدرة النظام على إسـكات السـوريين "بكافة الوسـائل"، إلى أنه خيّب ظنهم، فالشعب الذي حمل روحه علـى كتفه لم يعد يخـاف من دبابة أو بندقية، فكل السوريين يعلمون اليوم أنهـم يزرعون ليحصـد أبناؤهم ولهذا لم يعودوا يأبهون لحياة خاوية لا معنى لها، فالمـوت منها أحسـن. وكل الأمل معقود على أن يواصـل الأبناء ما بدأه آباؤهم.

الوثيقة الوطنية حول القضية الكردية

■ د. حازم نهار

القضية الكردية والشعب الكردي

القضية الكردية في العموم هي قضية قومية، تماماً كقضية القومية العربية، فلا بد من معالجتها في المستوى ذاته وبالمنطق ذاته الذي تعالج به القضايا القومية. فالأكراد يحملون مقومات جماعة متماسكة ومقومات شعب، ومن حق هذا الشعب أن يستكمل مقومات وجوده القومي كأمة، وأن يكون له كيان قائم بذاته ووطن أسوة بغيره من الشعوب.

القضية الكردية هي واحدة من المسائل المعقدة في العالم، فهي تتناول من ناحية الحقوق القومية لشعب متواجد كأقليات قومية موزعة في خمس دول متاخمة لبعضها وبينها حدود دولية فاصلة، وهي في الوقت ذاته تحمل تطلعات شعب يطمح إلى أن يكون أمة بين الأمم وأن يكون له كيانه القومي المستقل بين الكيانات القومية في العالم.

القضية الكوردية والقومية العربية

العرب والكورد مطالبون بإعادة تعريف وبناء هوياتهم في ضوء ما هم عليه وما يمكن أن يكونوا عليه، أي في ضوء ما ينتجونه مادياً وروحياً اليوم وغداً، لا في ضوء ما كانوا عليه في الماضي.

إن منحى التطور العام لمعظم دول المنطقة العربية يتجه اليوم نحو التطور الديمقراطي، على المدى المتوسط والبعيد، وهذا التطور الديمقراطي سيعمل على تجديد الهويات الوطنية، ومن ثم فإن صيغة الوحدة العربية، أو الدولة القومية سوف تتحدد بإيقاع هذا التطور واتجاهاته. إن الصيغة التي ستكون عليها المسألة الوطنية في دول المنطقة العربية هي التي ستقرر مصير المسألة القومية، للعرب والكورد معاً. وذلك انطلاقاً من ارتباط المسألة القومية بالديمقراطية ارتباط الشكل بالمضمون، أي انطلاقاً من تصور ديمقراطي للمشروع النهضوي العربي.

إذا كان العرب مع حقوق العرب وضد حقوق الأكراد، فإن موقفهم هش ومثلوم معرفياً وأخلاقياً وسياسياً، ولا يفضي إلى إحقاق حقوقهم أو استعادتها. والحقوق القومية المشروعة لا تتأسس واقعياً إلا على الحقوق المدنية والحريات الأساسية ومبدأ المواطنة وسيادة القانون وعمومية الدولة؛ أي على نسيج اجتماعي وطني متماسك محكوم بحقيقة التنوع والاختلاف وبمبدأ الحرية.

لا يمكن للمشروع العربي الوحدوي أن يتقدم في منطقة يتداخل فيها الأرض والبشر، وتتصارع فيها مصالح إقليمية وأخرى دولية، وتتشابك أيديولوجيات وقوى عديدة، دون الأخذ في الاعتبار الأهداف الوطنية الكوردية المشروعة. كما لا يمكن للمشروع القومي الكردي، إذا ما أعطيناه أبعاده كمشروع تحرر وطني ووحدة شعب وأرض، أن يسير نحو الأمام دون أن يتلاقى ويتعاون مع الأهداف والمطامح العربية الوحدوية. وهذا يعني أن لا يقوم بين الشعبين العربي والكردي تحارب أو عداء، وأن لا يتصادم المشروع العربي النهضوي، في أي موقع أو مرحلة، مع المشروع الكردي في أن يكون للشعب الكردي وطن وكيان.

الأحزاب السياسية العربية والكوردية

لا شك أن أيديولوجيات الأحزاب القومية العربية استبعدت الأكراد وأقصتهم من دائرة رؤيتها، ولم ترَ فيهم سوى أغيار، وبالتالي رأت في عدم الاعتراف بوجودهم الواقعي، ومن ثم بحقوقهم، هو الحل النهائي للمشكلة، لذلك لم تعترف بوجود مشكلة كردية في الواقع. كذلك فإن أيديولوجيات الأحزاب القومية الكردية لم ترَ في العرب سوى أغيار يحتلون جزءاً من "وطن الأكراد" ويغتصبون حقوقهم ويضطهدونهم. في الحقيقة لا يمكن الحوار بين هاتين الرؤيتين. كما لا يمكن الوصول إلى حل مشكلة بهذا المستوى من الأهمية والتعقيد حلاً أيديولوجياً أو بدلالة الأيديولوجية، ولا بد من تلمس حلول واقعية.

حل القضية الكوردية

في العموم، ما زالت المنطقة أسيرة الترتيبات التي وضعتها الدول الكبرى في الماضي بكل ما تحمله وما يتداخل معها من مصالح وتوازنات ونزاعات وتناقضات محلية وإقليمية ودولية. وقد شاءت الظروف التاريخية والتحالفات الدولية أن تضع الشعب الكوردي موزعاً بين عدد من أقطار الدنيا، فأراضيه واقعة داخل أطر دول مستقل بعضها عن بعض. وما زالت قضيته أسيرة التوازنات والنزاعات الإقليمية والنظام الدولي، وبالتالي فإن حل القضية الكردية كقضية قومية عامة ليس مرتبطاً بسورية وحدها ولا بالعرب كلهم، إلا في حدود معينة، وإلا كطرف من أطراف عديدين.

من هنا، فإننا بحاجة لوضع تصور مستقبلي للمسألة، وإيجاد سبيل للتعامل معها، كونها قضية صعبة ومعقدة وتتداخل فيها أطراف عديدة، فهي مسألة لم تبدأ من سورية ولا تنتهي عند سورية، ولا هي بين الأكراد والعرب وحدهم، بل هي تمتد للعلاقات مع دول وشعوب غيرهما، وخاصة تركيا وإيران وروسيا، وهي ترتطم بالنظام الدولي القائم ذاته وتوازناته الاستراتيجية واستقطاباته الكبرى وتحالفاته.

وبالضرورة من هذا المنظور لا بد من التوصل إلى حلول مرحلية مناسبة للوجود القومي الكردي داخل الحدود المتعارف عليها دولياً لدول المنطقة، إذ لن يكتسب حق تقرير المصير الأهمية اللازمة في أي بلد ما لم تعالج قضية الشعب الكردي بكامله، وليس في دولة واحدة من الدول التي يتواجد فيها.

حل القضية الكوردية في سورية

منذ قيام دولة سورية واستقرار حدودها الدولية كان ولاء المواطنين الأكراد، ولا يزال، خالصاً لوطنهم السوري ومجتمعهم السوري ودولتهم السورية، من دون أن ننفي تعاطفهم المشروع مع بني قومهم في العراق وتركيا وإيران وغيرها، أو نتجاهل عذوبة الحلم بقيام دولة كردية.

إن معالجة قضية الأكراد في سورية محكومة بجميع الحيثيات التي وردت، ولا سيما باستقرار حدود سورية كدولة في النظام الدولي، وبجملة التوازنات الإقليمية والدولية.

سورية وحدها لا تستطيع حمل عبء المسألة الكردية في كليتها القومية، إنها لا تستطيعه إلا في سياق نهوض قومي عربي، وإلا وضعت وجودها ذاته في مهب العواصف.

هدف الثورة السورية

مع الثورة السورية شرع السوريون بالتعرف على بعضهم بعضاً للمرة الأولى، ودون حواجز، وصاروا يعرفون أنفسهم ويتواصلون، وينهون حقبة طويلة من الاغتراب والانعزال والجهل ببعضهم، وأخذوا يتفاعلون معاً ويتبادلون هوياتهم الجزئية ومعاناتهم وآلامهم، ويستردون ذواتهم التي بددها القمع والاستبداد.

هدف الثورة هو التغيير البنيوي الشامل، وهو الذي لا يعني إسقاط النظام وحسب، بل وتفكيك بنية الدولة الشمولية وإعادة بنائها عبر تأسيس عقد اجتماعي جديد يضمن المساواة بين المواطنين من جهة، والمساواة بين القوميات من جهة أخرى.

الدولة السورية المنشودة

تشكل الدولة الوطنية الديمقراطية الحديثة الإطار السياسي والحقوقي الأرقى لتنظيم الحياة العامة في سورية. الدولة السورية دولة متعددة القوميات, وسوريا المستقبل هي لكل السوريين على نحو متساو وعادل دون تفاوت أو تفاضل، والانتماء لسورية هو القاسم المشترك بين السوريين, وليس هناك سوري أكثر سوريّة أو أقل من سواه.

أمام الدولة السورية هناك شعب سوري، ومواطن سوري.

تاريخ سوريا ليس تاريخ عرق بعينه أو دين أو مذهب دون سواه، بل هو تاريخ كل هذا التنوُّع الثقافي والسياسي والديني والاجتماعي.

الدستور السوري: دستور سورية المستقبل هو دستور ديمقراطي يقر أن الدولة السورية هي دولة متعددة القوميّات، والكورد هم ثاني أكبر قومية، ويعترف بحقوق الجماعات القوميّة الأخرى كالكلدوآشوريين وغيرهم، كما يقر بالتساوي التامّ بين جميع القوميات في المكانة والدور، وفي الحقوق والواجبات.

النظام الديمقراطي والمواطنة

المبدأ الجوهري في الديمقراطية هو المساواة السياسية بين الأفراد على أساس المواطنة. فلا تقبل الديمقراطية بأي تمايز على أساس العرق أو الدين أو الانتماء السياسي أو الطبقي، وتعارض كلَّ تباين في الأدوار والمكانة والحقوق والواجبات، وترفض أيّة تراتبية في المواطنة بين الأفراد أو بين الجماعات القومية. المواطنة المتساوية هي شرط سياسي وتاريخي لكمال الدّولة السورية ونضجها، ومقدمة لشرعيتها واستمرارها، وتجسيدها لوحدة إرادة السوريين جميعاً.

النظام السياسي الديمقراطي المنشود يستمد شرعيّتَه من المجتمع السوري بتنوُّعِه القومي والثقافي والاجتماعي والتاريخي القائم، ويجد أسسَه الواقعيّة في هذا التنوّع ويعكسُه في مبادئه العامّة.

لا معنى للديمقراطية خارج الإقرار بتعدّد المعتقدات والهويّات والتطلعات الثقافية. وأيّ نظام سياسي يستمد شرعيّتَه من هيمنة أغلبية دينية، أو طائفية، أو أيديولوجية عرقية، إنما يقوّض الديمقراطية وينتهكُ كلَ نزوع نحو المساواة. إن كل إقصاء صريح أو ضمني للأقليّة يتنافى مع قاعدة العموميّة والمساواة، ومطلب خضوع الأقليّة ديمقراطياً للأكثرية لا يعني انتهاك حريّتها والإخلال بمبدأ المساواة واستعباد الأقلية، لأن الغاية من ترجيح إرادة الأكثرية هي ليست فرض هيمنتها أو طغيانها، بقدر ما هي ضمان حقوق الأقليّة وممارستها.

الإجراءات المرحلية المطلوبة

يتضمن حق تقرير المصير: الإدارة الذاتية، الحكم الذاتي، الفيدرالية، الكونفدرالية، الاستقلال. وحق الاستقلال لا يعني بالضرورة وجوب الاستقلال، كما أن الحكم الذاتي أو الإدارة المحلية، في السياق الديمقراطي، هما صيغتان من صيغ الاندماج الصحي القائم على الوحدة والتنوع.

أي حل مرحلي عملي فيما يخص القضية الكوردية في سورية ينبغي أن يخضع لمصلحة سورية العامة والإرادة السورية العامة، فضلاً عن ارتباطه بالأوضاع الإقليمية والعربية والكوردية والعالمية، ولتوازنات القوى والمصالح والتناقضات المتشابكة.

الحلول القائمة على التوازن ما بين النظريات الحقوقية والاعتبارات السياسية هي المجدية، فالحلول التي تنطلق وحسب من النظريات الحقوقية لا معنى لها، ولا تمتلك دائماً فرصة التطبيق العملي.

يحتاج حق تقرير المصير إلى مرحلة انتقالية في سورية يجري خلالها تجاوز آثار الدولة الشمولية وإعادة بناء الثقافة الوطنية والهوية السورية، ومن غير المنطقي وضعه على مائدة بناء الدولة السورية في اللحظة السياسية الراهنة لأنه سيكون خاضعاً للظروف والمعطيات التي خلقها النظام الشمولي.

الحل الإجرائي المناسب في اللحظة السياسية الراهنة هو توسيع نطاق الحكم المحلي في إطار وحدة سورية أرضاً وشعباً، والعمل على إلغاء جميع السياسات والمراسيم والإجراءات التمييزية المطبقة بحق المواطنين ومعالجة آثارها وتداعياتها وتعويض المتضررين، وإعلان القطيعة مع الإجراءات العنصريّة والسياسات الإنكارية تجاه الكورد وقضيّتهم، واستعادة عمومية الدولة وإعادة بناء الثقافة والهوية الوطنيتين على أسس ديمقراطية، وإعادة إنتاج مبدأ المواطنة في العلاقات الاجتماعية والسياسية.

نشر في أكثر من دورية، واقتبسناه من صفحة د. حازم نهار الشخصية 7/4/2012

تقرير اللجنة المكلفة بتحديد وتوصيف جرائم الفساد وآليات مكافحته

■ ياسر مرزوق

الفساد، بحسب الاتفاقية العربية لمكافحة الفساد " ظاهرة إجرامية متعددة الأشكال ذات آثار سلبية على القيم الأخلاقية والحياة السياسية والنواحي الاقتصادية والاجتماعية ".

والفساد لدى منظمة الشفافية العالمية هو ".. استغلال السلطة من أجل المنفعة الخاصة.. ". أما البنك الدولي فيعرّف الفساد بأنّه ".. إساءة استعمال الوظيفة للكسب الخاص.. ".

والفساد يكون إداريًا حين يرتكبه موظفٌ عامٌ في معرض ممارسته الوظيفة العامة بقصد جلب المنفعة، وقد يرتكب الموظف العام الفساد دون قصد جلب المنفعة - كالمحسوبية والمجاباة اللتين قد تُنتجا على المدى البعيد آثارًا خطيرة جدا - أمّا غير ذلك من فساد، فيُرتكب من غير موظف عام، أو من موظف عام، ولكن في غير معرض ممارسته الوظيفة العامة. وجديرٌ بالذكر أن قانون العقوبات السوري قد عرّف "الموظف" في معرض تطبيق أحكامه، بأنّه: كل موظفٍ عامٍ في السلك الإداري أو القضائي، وكل ضابط من ضباط السلطة المدنية أو العسكرية أو فرد من أفرادها، وكل عامل أو مستخدم في الدولة أو في إدارة عامة. واعتبر قانون العقوبات المذكور في حكم الموظف، كل شخص نُدِبَ إلى خدمة عامة سواءٌ بالانتخاب أو التعيين. ولمصطلح الموظف العام بحسب اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، والاتفاقية العربية لمكافحة الفساد، شمولٌ يستغرق شاغلي المناصب والوظائف التشريعية والتنفيذية والإدارية والقضائية، سواءٌ تمّ شغلها بالتعيين أو الانتخاب..

وقد أثرت في عدد اليوم عرض تقرير اللجنة المكلفة بتحديد وتوصيف جرائم الفساد وآليات مكافحته والمشكلة بالقرار رقم /6080/ تاريخ 2011/5/5

والفساد الإداري على نوعين:

- فسادٌ صغيرٌ يرتكبه بعض شاغلي الدرجات الدنيا، وغالبا ما يكون بدافع الحاجة.

- فسادٌ كبيرٌ ويكون بباعث "الجشع" ويرتكبه بعض شاغلي الدرجات الوظيفية العليا.

أسباب الفساد:

يمكن إرجاع الفساد إلى الأسباب الآتية:

أسباب اقتصادية:

1 - انخفاض القيمة الحقيقية للأجور، جراء ارتفاع الأسعار. 2 - ارتفاع معدلات البطالة. -3 سياسة الإفساد التي يتّبعها بعض الأشخاص وبعض الشركات الكبرى الوطنية أو الأجنبية.

أسباب إدارية:

1 - ضعف معايير انتقاء الموظف العام. 2 - عدم الموضوعية في تقييم أداء الموظفين العامّين في معرض إسناد الوظائف الأعلى وما ينجم عن ذلك من عدم كفاءة المدراء، وتمكن بعض الموظفين من فهم أنظمة الإدارة وتسخيرهم هذا الفهم لتحقيق منافع غير مشروعة. 3 - إهمال بعض المدراء متابعة أداء العاملين وفساد ذمم بعضهم. 4 - غموض التشريعات واللوائح الناظمة لعمل بعض الإدارات ووجود إجراءات عديدة لا تشكل قيمة مضافة لضمان موثوقية عمل الإدارة في الوقت الذي تستلزم فيه مزيدا من التواقيع (وهو المناخ المناسب للفساد). -5 ضعف أداء الرقابة الداخلية في الإدارات والمؤسسات العامة أو عدم موضوعيتها. -6 غياب الرقابة الوقائية، وبطء إجراءات التحقيق في قضايا الفساد التي تتولاها أجهزة الرقابة، وفساد ذمم بعض المفتشين.

أسباب مجتمعية:

1 - خوف بعض المواطنين من تضرّر مصالحهم في حال وقوفهم في وجه الفساد. 2 - انتشار ثقافة التعاطف مع الفاسدين من الإداريين بدافع الشفقة، ممّا أدّى إلى اعتياد بعض الموظفين على الفساد واعتبار حاصله دخلا إضافيا لا غنى عنه. 3 - انتشار ثقافة "الشطارة" لدى البعض في التهرّب من الواجبات، والحصول على غير الحقوق، بالأساليب الملتوية. 4 - ضعف الوازع الديني والرادع الأخلاقي لدى البعض. 5 - سلبية أغلبية المواطنين، تجاه الفساد والفاسدين. 6 - انتشار بعض مظاهر الأمّيّة والجهل والفقر. الأجهزة الرقابية ودورها في مكافحة الفساد

لا ينفصل بحث "الفساد" على النحو الذي قصده قرار تشكيل هذه اللجنة (واقعا وضوابطا وآليات مكافحة) عن البحث في الأجهزة الرقابية الحكومية لجهة الأهداف والاختصاصات وحجم الدور الذي تؤديه في مكافحة الفساد.

وسنستفيض في عرض وبحث موضوع الأجهزة الرقابية، نظرا لأهميته البالغة.

أولاً - الجهاز المركزي للرقابة المالية:

الجهاز المركزي للرقابة المالية، بحسب المرسوم التشريعي رقم /64/ لعام 2003 هو "هيئة رقابية مستقلة، ترتبط برئيس مجلس الوزراء، وتهدف إلى تحقيق رقابة فعّالة على أموال الدولة، ومتابعة أداء الأجهزة التنفيذية، الإدارية والاقتصادية، لمسؤولياتها من الناحية المالية؛ ويختص بتدقيق وتفتيش حساباتها.. ".

ويباشر هذا الجهاز، الرقابة المالية - مسبقة ولاحقة - بطريق التدقيق والمراجعة، وبطريق التفتيش، إمّا من تلقائه أو بناءً على طلب الجهة العامة أو إخبار صريح من مخبر.

ويتولى الجهاز التحقيق في المخالفات المالية والإدارية والاقتصادية والجزائية التي تنجم عنها آثار مالية. وله، في سبيل ذلك، القيام بأعمال الرقابة والتفتيش والتحقيق واتخاذ الوسائل اللازمة لتحري تلك المخالفات والكشف عنها والاستماع إلى الشهود والتحقيق مع العاملين - وغير العاملين - وكفّ يدهم عن العمل والحجز على الأموال.

ولرئيس الجهاز أن يُحيل نتائج التحقيق إلى القضاء في حال أسفر عن جرم جزائي.

ثانياً - الهيئة المركزية للرقابة والتفتيش

الهيئة المركزية للرقابة والتفتيش، بحسب القانون رقم /24/ لعام 1981، هي "هيئة رقابية مستقلة ترتبط برئيس مجلس الوزراء، هدفها تحقيق رقابة فعّالة على عمل إدارات الدولة ومؤسساتها المختلفة من أجل: " تطوير العمل الإداري". "حماية المال العام". "تحقيق الفعالية في الإنتاج ورفع مستوى الكفاية والأداء". "تسهيل توفير الخدمات للمواطنين".

وتمارس الهيئة جملة من الاختصاصات، من بينها:

- "إبداء الرأي في الحسابات الختامية". "التحقّق من سلامة الإنفاق العام والتأكد من كفايته لتحقيق الأغراض المتوخاة وتجنيب الأموال العامة وممتلكات الشعب الهدر والضياع". "الكشف عن المخالفات الإدارية والمالية والجرائم التي تقع من العاملين.. في مناسبة أداء العمل وتحقيق هذه المخالفات ومتابعتها مسلكيا.. واقتراح الوسائل الكفيلة بتلافيها والحيلولة دون تكرار وقوعها... " التحقيق في قضايا الكسب غير المشروع.. بناءً على تكليف من رئيس مجلس الوزراء.. "

وقد أحدثت بموجب قانون الهيئة المذكور، أجهزةً للرقابة الداخلية في الإدارات والمؤسسات، تؤازر الهيئة في أداء مهماتها - ضمن جملة أهداف أخرى - وصلاحيات محددة.

ثالثاً - مقارنة بين الجهاز والهيئة

يَبيْنُ ممّا تقدّم، أنّ الأهداف التي قصدها المشرّع من إحداث الجهاز المركزي للرقابة المالية، تتقاطع مع أهداف إحداث الهيئة المركزية للرقابة والتفتيش، وكذا تتقاطع بعض الصلاحيات، فكل من الجهاز والهيئة هو جهة رقابية إدارية تعمل على حماية المال العام من الفساد والهدر، وكلاهما أعطي صلاحيات التفتيش والتحقيق وكفّ اليد والإحالة إلى القضاء.. وغير ذلك من الصلاحيات التي تُمكن من تحقيق الأهداف التي أوكل إليهما تحقيقها.

وقد تغيًا المشرّع من إحداث الهيئة - فضلاً عن حماية المال العام - العمل على جملة من المسائل التي تكفل الارتقاء بالأداء الإداري، وتسهم - من ثمّ - في مكافحة الفساد، إضافة إلى ما أعطيت الهيئة من اختصاص التحقيق في قضايا الكسب غير المشروع.

رابعاً - دور الجهاز و الهيئة في مكافحة الفساد

إنّ التقييم العلمي لحجم الدور الذي يؤدّيه كل من الجهاز والهيئة في مجال مكافحة الفساد، لا بدّ أن يعتمد على إحصاءات وبيانات بنوع وعدد قضايا الفساد التي وضع الجهازان اليد عليها والنتيجة التي انتهت إليها هذه القضايا وكمّ المال العام الذي تم استرداده فعلا. ثمّ يستخلص الأثر الذي حققه نشاط هذين الجهازين في ردع ضعاف النفوس والحدّ من قضايا الفساد. ومثل هذه الإحصاءات والبيانات، لا تتوفر لدى لجنتنا.

واستناداً لما ذُكر، ومع التقدير لكل الجهود الايجابية التي بذلها، ويبذلها كل من الجهاز والهيئة في مجال مكافحة الفساد، إعمالاً لحكم القانون النافذ، فإنّ الدلالات تشير إلى أن هذه الجهود لم تُفْضِ إلى تراجع ملحوظ للفساد، فإن صحّ هَذا الاستدلالُ كان مردُّ ذلك إما إلى أسباب موضوعية أو إلى أسباب ذاتية، أو إلى كليهما معاً..

وقد اطلعت اللجنة على مذكرة كان رفعها السيد رئيس الجهاز المركزي للرقابة المالية إلى السيد رئيس مجلس الوزراء حول واقع العمل الرقابي للجهاز، وتضمنت - فيما تضمنت - عرضًا للصعوبات التي تعترض العمل الرقابي ومقترحات عامة، ومقترحات تتعلق بعمل الجهاز.

كما اطلعت اللجنة على مذكرة كان رفعها السيد رئيس الهيئة المركزية للرقابة والتفتيش إلى السيد رئيس مجلس الوزراء وتضمّنت مقترحات للحدّ من ظاهرة الفساد.

وترى اللجنة أنّه يمكن تلخيص أسباب عدم وصول جهود الجهازين الرقابيين إلى تحقيق تراجع ملحوظ للفساد بمايلي:

أسباب موضوعية:

1 - ازدواجية العمل الرقابي (جهاز-هيئة).

2 - عدم تعاون إدارات الدولة ومؤسساتها مع الجهازين الرقابيين.

3 - عدم قيام إدارات الدولة ومؤسساتها بدورها في مكافحة الفساد.

4 - بطء إجراءات التقاضي وعدم تحقيق الأحكام القضائية الردع المطلوب.

5 - سلبية المجتمع وعدم نهوضه بمسؤولياته المفترضة، وما يقابلها من تكاتف الفاسدين.

أسباب ذاتية:

تعود الأسباب الذاتية إلى انتقاء المفتشين، وتأهيلهم، ومتابعة عملهم، ومساءلتهم عند الاقتضاء. مع وجود بعض حالات تدنّي المستوى العلمي أو عدم الموضوعية، أو فساد ذمة بعض المفتشين في كل من الجهاز والهيئة.

وقد بحثت اللجنة واقع الأجهزة الرقابية ودورها في مكافحة الفساد والوسائل الكفيلة بتفعيل هذا الدور، وانتهت إلى الاحتمالات الآتية:

1 - دعم الجهاز والهيئة، بمدّهما بما يحتاجان من كوادر بشرية وإمكانات مادية والنظر في تنفيذ المقترحات التي تضمنتها المذكرتان المرفوعتان إلى السيد رئيس مجلس الوزراء مع إنهاء اختصاص التحقيق والتفتيش من الجهاز منعا لازدواجية الرقابة.

2 - دمج الجهاز والهيئة في جسم رقابيٍّ واحدٍ.

3 - إصدار تشريع يتضمّن إلغاء الهيئة المركزية للرقابة والتفتيش، وإحداث هيئة أو مجلس أعلى لمكافحة الفساد تُعقد له اختصاصات من بينها الهيئة المقترح إلغاؤها دون تعليق التحقيق في قضايا الكسب غير المشروع على تكليف من رئيس مجلس الوزراء، وكذلك التحقيق في قضايا الفساد التي تُنسب إلى أصحاب المناصب والموظفين العامين، ومن في حكمهم، وفق تعريف الموظف العام الوارد في المادة (340) من قانون العقوبات.

موّال من راسي: الحرية والديمقراطية

■ لمى الخاير

الحرية تاجٌ على عقول الأصحاء، الديمقراطية.. لا زلنا نتلمس طريقنا في استيعابها!

الحرية:

بتزكر أول مرة سمعناها على أرض الواقع بعيدا عن الكتب أو الشعارات المدرسية الصباحية والاجتماعات الشبيبية، عندما خرقتْ كل ما هو نظريّ لتشمخ وبقوة معلنةً عن ولادتها بأقصى حالات التحدي لوجودها... عندما قلنا بصوت عالي: الشعب السوري ما بينذل، واللّه... سوريا... حرية وبس. مارسناها فعليا بذات الوقت الذي دعينا فيه إليها، في تلك اللحظة تَحررّنا من الخوف....

"بدكن حريي؟!"

تعبيرٌ مرةً كان مستفزاً ومرة مميتاً ومرة أخرى مثيراً للسخرية والضحك، لكن السؤال قائم وكونو صادقين مع أنفسكم، عن جد، بدكن حريي؟

ألم تُظلم هذه الحرية التي أردناها، وأصبحت ككل القيم التي نسعى للحصول عليها والتي قامت الثورة من أجلها، مُستهلكة وفارغة وأحيانا كثيرة مشوّهة.... روقوا... بكيّر، نحتاج أن نمارسها كثيرا جدا قبل أن نصل إلى مرحلة الحرق والاستهلاك!

لماذا نحن متطرفون حتى بتفسير الحرية وممارستها، ولماذا نربط الحرية بجسد المرأة!

مع التعرّي أو ضد التعرّي:

لماذا يجب على الحرية أن تقف في صف التعرّي أو في صف عدم التعرّي لكي تتحدد قيمتها "الصحيحة"؟! وكيف للحرية أن "تتحدد" أصلا! والسؤال هل يجب أن تعبّر الحرية عن ذُلق أو عادات المجتمع أو هل يجب أن تتمثل أو تمثّل جسد المرأة أو عقل المرأة أو أخلاقها تبعاً لما يراه المجتمع؟!

شيلولي المرأة شوي من راسكم أول شي، وحرٌ ولي مفهوم الحرية شوي من القوالب بشكل عام - لك هيّ اسما حرية!-

وتعو نحكي عن الحرية، الحرية ببساطة تعني الحرية، وليست تمثّل أخلاقاً أو قيماً معينة، هي بحد ذاتها قيمة وتاجٌ على عقول الأصحاء... لا يراه فاقدوها!

برأيي لا يوجد شيء يسمى "مع التعري" بالمطلق (إلا بنطاق الرغبة الجنسية!)، لأنه يجب أن يكون في سياق شيء ما لأحكم عليه، وكذلك لا يوجد شيء يسمى ضد التعري لنفس السبب. الجسد بالنهاية أداة لإيصال ما في داخل الروح والعقل، إن كان عملاً فنياً يستخدم الجسد أو التعرّي فأحكم عليه من وجهة نظر فنية، وإن كان يعبّر عن رسالة، فأحكم على الرسالة. وإن كان فشل عن توصيل أية رؤية أو رسالة أو لم يكن عمل فني ناجح، أو إذا كان مبتذلا ورخيصا، فأنا حرة بانتقاده وإذا لم يعجبني أو أثار حفيظتي لأي سبب كان (وهذا حقي وحريتي الشخصية) فأعبر عن رأيي دون مهاجمة رأي الآخر أو إعطائه دورساً في الأخلاق، أو فلأشح بوجهي عنه.

يا عمّي... مو التعري هو الحرية يلي بدياها، الحرية إني عبّر عن رأيي فيما يخص التعري و الرسم والأفلام والمجتمع والسياسة والدين وبكل شيء حولي، دون أن أجد وصاية من الآخر ودون أن يعطيني ذلك الآخر قالبا جاهزا لأحصر رؤيتي وآرائي فيه، ودون أن أضطر للإدعاء بأن التعري أو أي شيء آخر خاطئ فقط لأن المجتمع يرى ذلك في الوقت الذي في أعماقي لا أراه خطأ، أليس هذا نوع من النفاق الاجتماعي الذي يجب التحرّر منه...

بعدين بَلاه هادا نظام الأتمتة بالحياة: ما صحّة المقولة التالية (يجب التعرّي)، أجب بـ: 1 - صح 2 - خطأ!

أحمد اللّه إني لم ألحق نظام "الأتمتة" في الجامعات إلا ربما بمادة أو اثنتين في آخر سنة، لإني طالما أحببت أن أشرح وجهة نظري ورؤيتي واسترسل فيها وأحللها.... كي أوصل رسالة أو قناعة ما أو حتى إحساس ما. وللمفارقة كنت دائما أرسب في مادة الإنشاء العربي والإنكليزي بسبب "الخروج عن الموضوع"... كان لدى المعلم أو الدكتور دائما تصور معين على الطالب أن يبقى في نطاقه... إيييه... سقى اللّه تلكم الأيام... إيه المهم، على سيرة الخروج عن الموضوع، وين كنّا... !

شو يعني رجل حر وامرأة حرة؟! وليش في تحديد لمعنى الحرية كل حسب جنسه، هي من أولها حبسناهم بإطار جنسهم.... طارت الحرية.

في شي اسمو إنسان حرّ.... وكل إنسان يجب أن يتمتع بحرية الكلام وحرية الاعتقاد وحرية التعبير... والكثير من الحريات المعروفة بعيداً عن أي تمييز جنسي أو عرقي أو أياً كان.

وإذا أردنا أن نتحدث عن الحرية من مفهوم فلسفي، فأنا تحررت من كتير أشياء داخلي، منها التحرر من الانتماء "الرومانسي" للوطن... فيروز وفنجان قهوة وياسمينة، هو مجال افتراضي أو صورة بأبعاد وهمية، شيء يشبه ربما الصور الهولوغرامية أو الهولوغرافية (Holography)

صنعناها لأنفسنا لنستحضرها متى أردنا لتبدو لنا حقيقية وبأبعاد ثلاث، كي نقوى على الانتماء لشيء ما... صنعناها لتكون بديلاً عن وطن غير موجود إذا صح التعبير... نوع من خلق التوازن النفسي، لأننا محكومون بأن نحمل على جباهنا هوية ما.... و"يجب" علينا أن نفتخر بها ونحنّ إليها!

أنا بدي وطن حقيقي، أن أنتمي لوطن حقيقي... وهلق بس قدرت شوفو على حقيقتو... تحيا الثورة السورية العظيمة. ونعم، نريدها ثورة على كل المفاهيم "مُسبقة الصنع".

أوقفوا القتل.. من الجولان المحتل | مجدل شمس

الديمقراطية:

أصبحنا نستخدم الديمقراطية فجأة مع قهوتنا الصباحية وفي تسريحة شعرنا وفي (عفواً) الدخول للحمّام.... يا سيدي وفي الخروج منه كذلك، لا بأس... نحن شعب متعطش للديمقراطية التي كنا لا نسمع عنها إلا في الكتب و"أفلام" هوليوود.

يعني أنا آسفة ما بدي إصدمكم..... بس بابا تويل..... مو حقيقي!

الديمقراطية هي مصطلح سياسي، وبصراحة ما في ديمقراطية حقيقية وشاملة بالعالم... بس طبعاً يوجد مجتمعات فيها بعض أشكال الديمقراطية ومضطرة لممارستها، وطبعاً لمجرد كون هناك ما يردعها ويضطرها لممارستها فهذا بحد ذاته شيء رائع سواء كان حرصاً منها لتحقيق توازن صورة حكومة البلد إما داخلياً لأن الحكومات في البلدان المتقدمة يجب أن تُصغي لشعبها وأن تقدم له شيئاً -وإلا فهي لا تستحق الاستمرار ويبقى موضوع وجودها مرتبطاً بالتصويت بالنهاية (وحتى هذا يخضع للتمثيل في البرلمانات الذي يحتمل هامش للتلاعب أيضاً)-... ومن جهة أخرى مضطرة أن تمارس هذه الديمقراطية أمام المجتمع الدولي لأن لديها صورة إعلامية ودبلوماسية لا تستطيع أن تناقضها وإلا خسرت مصداقيتها مع الداخل والخارج.

هذا ما نريد أن نطالب به... أضعف الإيمان، نريد أن نصل يوماً إلى هذا الشكل الديمقراطي في الحياة السياسية (لا تنسو أن حتى هذه الأخيرة لم تنضج بعد).... بس بتعرفو كتييير بدنا وقت وشغل، يعني الشغلة مو بالحكي ومو صباح الخير.... ليش مانك ديمقراطي، ومرحبا... شايفك كأنو مو ديمقراطي اليوم!!

الديمقراطية هي ممارسة سياسية يُفترض تطبيقها في الدولة من خلال آليات معينة يتم اتباعها لتشكيل الحكومات والسُلطات بحيث تضمن قيام العدل والمساواة في المجتمع.... هذا ما نريد أن يكون عليه بلدنا، ويجب أن يسعى الساسة بصدق إلى تحقيقه.

وبالنسبة للديمقراطية بمفهومها الفلسفي، جميل أن تُطبق بحياتنا اليومية لأنها تمنح الآخر الفرصة كي يعبر عن رأيه بشكل متساوي دون أن يتعرّض للتجريح أو التهديد أو الإهانة أو الإقصاء، كما تسمح للفرد بالمساهمة باتخاذ القرارت بوصفه جزءاً من كُل يؤثران ويتأثران ببعضهما، وربما أكبر جهاز رقابة لأنفسنا بنجاح هذه العملية هو تعاملنا مع ولادنا ومع إخواتنا.... إلخ يعني تتداخل في

الوقت نفسه مع موضوع الحريات وتطبيقها مرة أخرى (يمكن العودة إلى فقرة الحريات أعلاه!)

ولكن يجب ألا نخلط بين شكلي الديمقراطية، ولافينا ننط على أيا موضوع عالإطلاق ونقول: وين الديمقراطية يلي عم تنادي فيها من نص الدنية! حتى تُرعب الطرف الآخر ويتبنى وجهة نظرك أو ينسحب فوراً مشان ما تتهمو بـ "قلة الديمقراطية" لا سمح اللّه. الشطارة في الانتصار على وجهة نظر الآخر (التي نبرع بها في مجتمعنا) لا تشبه الديمقراطية بأي شكل وغالباً يتم استخدام الديمقراطية بغير محلها وبالتالي لا تعود تُسمى ديمقراطية، ولن توصلنا هذه الطريقة إلى تحقيق أية ديمقراطية.

أخي... يجب أن نعرف متى وكيف نستخدم الديمقراطية، نحنا (أنا وإنت على حد سواء) ما بنعرف لسى نمارس ديمقراطية، عم نتعلم.. لا زلنا نتلمس طريقنا في استيعابها أولا، مروراً برفاهية ممارستها عالأرض في حقل السياسة وانتهاءً بحسن استخدامها أو بالأحرى معرفة استخدامها.... والديمقراطية لا تعني "الخضوع" للأكثرية سواء كانت العائلة أو المجتمع (رغم أنها بطبيعة الحال غالباً ما تتحقق من خلال مبدأ الأكثرية)، لكنها أولاً وأخيراً تقوم على مبدأ المشاركة والمساهمة. لم تكن الديمقراطية يوماً تعني أن تتهجم عليي، ولا أن تفرض رأيك عليي لمجرد فكرة الإخضاع أو الترويض، حتى لو كان هذا الرأي هو رأي المجتمع "المقدس" والذي لا يمكن المساس به. مرة أخرى يتداخل معها موضوع الحريات.

كل ما أردت قوله: أرجوكم لا يمكن استغلال الحرية والديمقراطية واتخاذها ذريعة للممارسة الدكتاتورية الفردية على الآخر أو المجتمعية على الفرد! يعني هي وين صارت؟!..... إيه وصحي، حلو عن المرأة وجسدها... !!

وآسفة عالتنظير والفلسفة فيما تقدم.... ولا قلكون، ماني آسفة.... عم عبّر عن وجهة نظري... أنا حرّة!.

حـوار مـع ثائـر

أفهم طفلي أن الثورة ليست هي السلاح..
الثورة تبدأ من أصغر تفصيل شخصي..
وإسقاط النظام جزء من الثورة

■ أجرى الحوار: عروة المقداد

هذا الحـوار الثاني من سلسـلة الحـوارات التي نفردها لمحاولـة الوقـوف على التغيـرات التي أحدثتهـا الثورة في أنفسنا. وكنت قد أشـرت في بداية الحوار السابق أن الثورة هي ذروة التحولات والتغيرات التي تَحدث في ذات الإنسان، وأنـه لا يُتاح فـي أزمنة الثورة الوقوف علـى تلك التغيرات، حيـث تولد كمية هائلة من الأسـئلة ينبغـي الإجابة عليها لنفهـم. وها نحـن نحاول أن نطرح الأسـئلة كي نفهم ماذا حدث؟ وماذا يحدث؟ ولماذا حدث؟ وكيف نستطيع أن نتصالح مع كل تلك المتغيرات التي كان القسوة والألم جزء منها.

التقينا أبو علاء في منزله، حيث يجلس في غرفة النوم علـى بعد أربعة أمتار من (سـقيفة)، يتدلـى من فوهتها حبـل من أجل الهروب فيما لـو أقتحم بيته. وأمام كاميرا المراقبة يتابع شؤون الثورة عن طريق السكايب عندما لا يتاح له التواجد في الشارع. (إنه فيلم طويل أدمنت عليه) يقول ضاحـكاً. (فيلم الانتظار الطويل الـذي يفتح فوهة التأمـل والمراقبة في الذات). ذكريـات طويلة أثارها هذا الحوار فامتزجت الرغبـة بالرهبة، بلّلها البكاء على الذات أولاً وعلى الأصدقاء والأمكنة، فكان الحوار التالي:

| سـنبدأ من هذه اللحظـة؛ أبو علاء الذي خرج منذ سنة وشهر على نزلة الكرك وهـو يهتـف للحرية، وها هـو الآن مختبئ في هـذا المنزل بعيداً عـن زوجته وأولاده وأصدقائـه ما الذي تشـعر أنـه تغير فيك عندما تعود إلى ذاتك؟

| | أشـعر بالوحدة! ساعاتٍ طوال أقضيهـا وحيداً! لا يوجد مـن أتحدث إليه لأشكي عما يختلج صدري. بكائي حار في سـاعات الوحدة. لم أكن كثير البكاء. الآن كل مـا أشـاهده يثير في نفسـي البكاء. أشعر أنني مليء بالحزن والخوف! الخوف مـن المجهـول. أشـعر أنني أخـاف على كل إنسـان في الشـارع. أحيانـاً أفكر أنه مـن الممكن أن يحدث انفجـار ما ويموت الكثيـر من الناس ومـن الممكن أن أكون أنا المسؤول عن موته بطريقة أو بأخرى. أسـأل نفسـي الآن: هل نزول الناس إلى الشـارع أول يوم كان مصيبـاً أم خاطئاً؟! أحاسـب نفسـي اليـوم على كل شـهيد، على كل قتيل، على كل بيت تدمّر، على كل نظرةٍ مكسورة في عين إنسان.

| في الثورة برزت المشاركة الجماعية والانفتـاح علـى الآخر وتجلى ذلـك واضحاً فـي المظاهرات، وكسـرت العزلة والوحدة لدى الفرد، وأنت تقول لي الآن أنك تشـعر بوحدة كبيرة، كيف تفسر ذلك؟

| | الوحـدة التـي أتحـدث عنهـا لا تتعلـق بأنني متوارٍ هنا فـي هذا المنزل هربـاً من عيون الأمن. أشـعر أنني وحيد فـي تفكيري، وحيد في طموحاتي، وحيد في أحلامـي. إنها وحدة كبيـرة ومخيفة. عندما تتشارك الأحلام مع أناس بعيدين عنـك فكريـاً، بعيدين عـن أحلامك، عن طموحاتـك، عـن ثقافتـك، هـذه وحـدة قاتلة. في الثـورة تتعامل مع كل الفئات، مـع كل الأعمـار ومـع كل الثقافات وكل الطبقات. وفي سبيل الثورة قدمت الكثير من التنازلات الفكرية من أجل لمّ شـمل الشـارع الذي يشبه السوق الشعبي. ثمة أمـور لم أكـن راضيـاً عنها فـي الثورة، ولكـن اضطـررت لأن أقـدم تنـازلات كثيرة من أجل الشـارع الذي قد يسـحق في مـكان مـا إرادتـك الواعيـة. الوحدة أجدهـا عنـد محاولـة إفهـام أحدهم أن تلك اللافتة خاطئـة، عندما تحاول إفهام طـلاب الجامعة أنه لا ينبغـي أن يطلقوا على أنفسـهم الطلاب المجاهدين. وفي النهايـة عندمـا أعود إلى منزلـي وأنا لم أحقق أي مكسـب حقيقي مـن كل ذلك، لم أحقـق التغيير في العقـول وهو أهم جزء في الثورة أشـعر أنني وحيد. وعندما يستهزئ أحد ما بأفكارك دون أن يحترمها تشعر بأنك وحيد.

| وحدة فكرية؟

| | نعم، ربما هي وحدة فكرية!

| كـم نحن بحاجة إلى الفكر الآن بعد كل الذي تحدثت عنه؟

| | نحـن بأشـد الحاجة إلـى الفكر بعد سـنة من الثـورة، وبحاجة إلى أناس أصحاب أفكار ومنطـق وأن يكون لديهم القدرة على الإقناع بفكرهم. نحن اليوم لسـنا بحاجة إلى خطابات، سـأضرب لك مثـلاً صغيـراً وبسـيطاً. عندمـا نحـاول تنظيم صفوفنا في المظاهرة لا ينفع أن نقـول للمتظاهرين عبر المكريفون بأنه يجـب تنظيم الصفـوف. بـل بحاجة لأن ننزل إلى الناس ونمسك بأيديهم ونقول لهم أن الصف الجيد يكون بهذه الطريقة ونرشدهم، ونكون قدوة لهم، ونفهمهم أن التنظيم هو جزء من الثورة.

| لمـاذا إلى الآن نتعامل مع من يفكر بأنه لا يقوم بعمل، أي أن التفكير بالنسـبة لنـا لا يمتلـك قيمـة الفعل، فـي حين أن التفكير هو بحد ذاته فعل؟

| | لأننـا تعودنا أن نأخذ كل شـيء بطريقـة جاهـزة. لقـد عوّدَنـا النظام على هذه الطريقة مـن التفكير. الأفكار الجاهـزة. مازلنـا نتعلم مثـلاً عن طريق التلفزيـون، ومازلنـا عاطفيين نقيـس الأفعال بعاطفتنا، إن مشكلة هذه الثورة أنها مازالت عاطفية بكل جوانبها.

| أريـد أن أعـود إلـى الوحـدة التي تحدثـت عنها، هـل ثمة فرق بيـن العزلة والوحدة؟

| | الوحدة هـي الحاجة إلى الناس، أمـا العزلـة هـي عزلـة داخليـة. تقـوم بفرضها على نفسـك، وعندمـا تتملكك لا تستطيع أن تتخلص منها، في حين أن الوحدة يمكن كسرها عن طريق التواصل مع الأصدقاء أو البحث عنهم. وبعد سـنة من الثـورة أعتقد أن الوحدة تأخذ شـكل فـي كثير من الأحيان، ذلك أننا لم نتعلم بعـد أن نصغي إلى بعضنـا البعض، وأن نسـأل لنتعلم وأن نفكر لنحاسـب ذواتنا ونسـتفيد من أخطائنا. أراقب كل يوم ما يحدث، ذات الأخطاء نرتكبها كل يوم من درعا جنوباً إلى إدلب شمالاً.

| هـل تشـعر أنك قـادر أن تخرج من هذه الوحدة التي تتخذ شكل عزلة؟

| | ربما بالأمـل يمكنني ذلك، لدي الكثير من الأمل.

| الأمل بماذا؟

| | بالمستقبل، بالتغيير. أمل يخلق بذاتـك، لأن العزلـة مـوت. الأمل يجعلك

قادراً على الحياة، وتحاول أن تكسر جدار الوحدة والعزلة.

| إلى أي درجة تستطيع أن تقول أن السوريين يعيشون اليوم حالة وحدة كالتي تعيشها؟

| | الجميع يعيش حالة الوحدة، لأن الجميع تناسوا الهموم الشخصية والتفوا حول هدف واحد هو إسقاط النظام. من جهة هذا جيد، ولكن من جهة أخرى سيئ للغاية. الثورة ليست فقط إسقاط النظام. إنها تبدأ من أصغر تفصيل شخصي. وإسقاط النظام جزء من الثورة. هذا التفكير عاطفي ولا ينفع لاستمرار الثورة.

| تعني أننا سحقنا ذواتنا وتماهينا في الثورة؟

| | نعم هذا ما أقصده.

| أليس ذلك خطراً يهدد الثورة؟

| | بالطبع لأن الثورة للإنسان لمفاهيمه وأفكاره وقيمه. لا يجب أن تكون الثورة هي حياتك، وإنما هي جزء لتغير حياتك. الثورة أعطتنا عاطفة كبيرة أعمتنا عن ذواتنا. لذا ترى أن الثوار متحدون شكلياً ولكن ثمة الكثير من الخلافات فيما بينهم.

| أبو علاء أنت واحد من الناس الذين شاركوا في بداية الثورة وتلقى صدمة كبيرة جراء القسوة والألم التي حدثت في درعا. أذكر في كثير من الأحيان الدهشة التي كانت تعترينا عقب كل مظاهرة، تلك الصدمة بعد أن نرى رؤوس أصدقاء تنعث في الأرض وتتبعثر منها كل الذكريات والضحكات والأحلام، هل تشعر أن ذاكرتك أصبحت مشوهة؟

| | أخاف من كل تلك الذكريات. أفكر أن نشوة النصر القادم لن تنسيني كل ذلك الحزن الذي مررنا فيه. أنا واحد من الأشخاص الذين بقوا أحياء بالصدفة. كنت ترى بعينك، وأنا أحدثك كصديق وليس كصحفي، كيف كنا ننزل على الجسر ونعدّ مئتين ثم نرجع تسعين أو ثمانين شخصاً. ما زلت أخسر أصدقاء وأقارب، سنة وشهر من الخسارة المتواصلة، ودائماً ما أنجو بمحض صدفة تبقى كل الألم والحزن على ذكراهم المتقدة بداخلي.

| هل من الممكن لهذه الذاكرة المشوهة أن تصنع المستقبل؟

| | ربما تكون هذه الذاكرة الحامية في المستقبل لئلا يتكرر الظلم. ربما تكون المحفز الذي لن يدعنا نقبل بأن تسلب حريتنا.

| كيف ستعود وتمشي على جسر الكرك؟

| | جسر الحرية...

| هل تسميه جسر الحرية؟

| | نعم لقد كانت محاولة عبور الجسر هي محاولتنا للعبور إلى الحرية وهي التي فجرت الثورة. لقد كانوا يمنعوننا من المضي عليه لأنه جسر الحرية.

| هل ستستطيع أن تمشي عليه في المستقبل لوحدك دون أصدقائك؟

| | إلى الآن لا أستطيع المرور بهذا الجسر، حتى بسيارتي لا أستطيع ذلك. وحتى لو تطلب الأمر مني أن أغير طريقي من أجل أن لا أمر فيه. يمكن أن يتوقف قلبي إذا مررت عليه الآن. أحب هذا الجسر كثيراً. أحياناً أقف على مسافة منه وأتفرج عليه وأتذكر، أسمع أصواتاً أشتمّ غازاً. أسمع يا يُمّة، أسمع صراخاً، أصوات موتورات تنقل المصابين والشهداء. أشعر أنه الرحم الذي ولدت منه.

| ما أريد قوله: من أجل بناء المستقبل ثمة جزء من الذاكرة مع الأشخاص والأمكنة قد تعرض للتشوه، والتصالح مع هذه الذكريات هو الطريق من أجل العبور نحو بناء المستقبل، ما هي الوسيلة التي ستجعلنا نتصالح مع هذه الذكريات من أجل العبور نحو المستقبل؟

| | يجب أن تبدأ المصالحة مع الذكريات منذ الآن، وأول شيء هو تحقيق النصر. عندما أدخل إلى المقبرة أدخل محنيً الرأس، لا أستطيع أن أدخل إلى الآن رافعاً رأسي لأنني إلى الآن لم أحقق شيئاً، وهذا ينطبق على حمص سأدخل إلى هناك وأنا منتصر عندها سأقول للجميع ولكل من كان خائفاً مني أقول لهم:أنني كنت أريد الحرية ولم أكن أريد القتل.

| متى ستعبر على جسر الحرية؟

| | عندما يسقط النظام. سأذهب إليه مشياً على الأرض حافي القدمين...

| هل أصبحت قاسياً بعد موت كل أصدقائك، وبعد كل تلك القسوة التي نعايشها الآن؟

| | هل تصدقني عندما أقول لك أنني أصبحت أكثر حنية وحساسية

| ما سبب ذلك؟

| | لأنني لا أكنّ مشاعر الضغينة والحقد تجاه أحد، ولا تنتابني مشاعر الثأر والرغبة في الانتقام. ممن سوف أنتقم؟ أشعر أنني سأكون مثل دونكيشوت يقاتل طواحين الهواء إذا رغبت في الانتقام. خرجتُ من أجل الحرية والعدالة. خرجت من أجل مجتمع مدني، كيف سننشئ ذلك المجتمع المدني الذي حلمنا به إذا خرجنا للانتقام.

| لديك طفل اسمه علاء حدثني عنه قليلاً؟

| | لقد تركت علاء منذ بداية الثورة وكان عمره ثلاث سنوات ونصف والآن عمره أربع سنوات ونصف. لديه خوف شديد عليّ، وكان يقول لي: بابا أنت شجاع لأنك تخرج في المظاهرات. وفي اجتياح درعا اضطررت للاختباء، وعندما كان يسمع الناسَ تُكبِّر كان يبكي ويقول: مشان الله اسكتوا. يسألونه لماذا؟ كان يقول: رح يجوا ويخنقوا بابا. كان ذلك يشعرني بالحزن لأن ابني اضطر لأن يشاهد كل تلك القسوة والعنف.

| هل تعتقد أنه سينسى كل هذا؟

| | لا أعرف ولكنني أنتبه الآن أنه متعلق بشكل كبير بالجيش الحر وأصبح يتملكه. كل شيء يدور الآن في مخيلته حول السلاح وقتل العدو والأمن والشبيحة.

| ألا تعتقد أن ذلك يشوه طفولته ومن الممكن أن يؤثر على المستقبل.. مستقبله؟

| | بالطبع أحاول الآن أن أفهمه أن الثورة ليست السلاح، كنت أخرجه إلى المظاهرات لأفهمه أن هذه هي الثورة، وأجعله يرقص ويدبك مع الناس لينسى كل ذلك. علاء يعاني الآن من تناقض غريب، لقد كان يلعب مع مجموعة من رجال الأمن قرب المنزل وكانوا يحبونه وقد أحبهم. وعندما كنت أقول له أن هؤلاء من الأمن كان يقول لي لا بابا هؤلاء الأمن المليحين الذين لا يقتلون الناس. وكان يغني الجيش الحر الله محييه.. الجيش الأسدي الله يخزيه ما عدا حمودة وباسل وهم من الأمن الذين كان يلعب معهم وقد أحبهم. لقد اختلفت حياته تماماً وهو يمر بتناقضات غريبة. لقد كان يقف أمام الأمن العسكري ويسأل الجيش هل أنتم شبيحة؟ يقولون له لا نحن جيش فيضحك فرحاً. وذات مرة خرج إلى مسيرة مؤيدة ظناً منه أنها مظاهرة وكان يريد أن يشارك، وهناك بدأ بالتكبير فقال له أحد عناصر الأمن: لاء عمو نحنا ما منقول هيك، فسألهم لكان شوبتقولوا. فأجاب نحن نقول: بالروح بالدم نفديك يا بشار. فقال له لاء بشار يقتل الأولاد. وكل هذا يجعلني حزيناً لأنه يشعر بكل هذه التناقضات ويرى كل هذا القتل والبشاعة.

| كيف يمكن أن يتجاوز الأطفال ذلك؟

| | أتخيل أنه من الضروري أن يأهل أطفالنا عقب هذا القتل من أجل محو آثار كل تلك القسوة والألم.

| ونحن؟

| | أعتقد أننا لن ننسى، لن تنسى أنت الشاب الذي قتل بجانبك وكان يريد أن يهمس بأذنك شيئاً ما ولم يستطع لأنه قتل أمام الجامع العمري، وستظل طوال عمرك تتساءل ماذا كان يريد أن يقول لي؟ هل كان يريد أن يقول: مشان الله لا أريد أن أموت، أو كان سيسأل: هل ما نفعله صحيح أو خاطئ، وسيذكّرك أبداً أنك كنت موجوداً في الثورة. وأنا أيضاً سوف أتذكر عماد عندما كانت تسأله جمانة أين أنت ذاهب وقال لها لا أعرف أين يأخذني.. لقد كان عماد ورائي وأصابته الطلقة بدلاً عني. أنا لم أقتل عماد... هم قتلوه. صدقني أنا لم أقتله... هل قتلته؟

ولن أنسى معن العودات، عندما قلت له «قل للأمن أن يذهبوا من المقبرة». وكان يقول لي «طوّل بالك». وكانوا أول مرة يدخلون المقبرة. وكنت أشدد عليه وأقول له: يا معن قل لهم أن يخرجوا من المقبرة نريد أن ندفن الميت ونذهب. هل قلت له حينها اذهب من أجل أن تموت. لقد قلت له ذلك دون أن أعرف أنه سوف يموت. لقد كنت جانبه عندما مات. لا أعرف. ولكن لست أنا من قتله! لقد كان الأمن من قتله. هل أنا من أرسلته إلى الموت؟ لقد كان أيضاً يريد أن يقول لي شيئاً قبل أن يموت، ولكنه لم يلحق أن يخبرني به. قال شيئاً ما. لا أعرف ما هو! هل قال سلمية؟ هل قال: لا تنسى؟ من الممكن أنه كان يريد أن يقول ذات الكلمة التي كان يريد أن يقولها لك ذلك الشاب عند باب الجامع العمري، من الممكن أن تكون هذه الكلمة المجهولة هي شيفرة الثورة، ومن الممكن أن لا نعرف ما هي إلا بعد سقوط النظام... لكننا أنا وأنت لم نقتلهم. لم نكن نحن من قتلهم. أنا لم أقتل معن وعماد..

| هل البكاء مريح؟

| | أبكي على ذاتي وعلى كل تلك الذكريات. أبكي لأنني لا أريد أن أصبح قاسياً، ربما احترفت البكاء كما أفعل الآن لكنه لن يعيد كل هؤلاء.

| هل تعتقد أن الإنسان في سورية يمتلك قيمة عندما نتعامل معه؟

| | أعتقد أن الثورة لن تظلم أحداً. وفي النهاية كل صاحب حق سوف يأخذه، وكل إنسان سوف يأخذ مكانه ودوره.

الأمير عادل أرسلان 1882 ـ 1954

■ ياسر مرزوق

ولد الأمير عادل بن حمود بن حسن بن يونس أرسلان عام 1882م في الشويفات سليل الأسرة العريقة التي تنتمي للمناذرة اللخميين، وأنّ جدهم الأول هو أرسلان ابن مالك بن بركات بن المنذر أحد أحفاد المنذر بن ماء السماء، ولد سنة 109هـ/727م في المعرّة، وكانت عشيرته تقيم فيها، ولما قدم أبو جعفر المنصور العباسي دمشق سنة 758م سار إليه أرسلان مع أخيه المنذر ووجوه عشيرته للتهنئة، فلقي من الخليفة أحسن قبول وأقطعه وإخوته الجبال المطلة على بيروت والساحل ليجاوروا "المرَدَة" ويصدوهم، فنزل بقومه في حصن يعرف بحصن أبي الجيش في وادي التيم سنة 142هـ/759م وتفرقت عشائرهم في البلاد وعمروها وحصنوا بيروت وأصلحوا أسوارها، وجرت وقائع كثيرة بينهم وبين المردة وقراصنة الروم الذين كانوا يغيرون على سواحل الشام في أيام الدولة العباسية.

وقد أظهر الأرسلانيون في هذه المعارك بسالة وشجاعة نالتا إعجاب الخلفاء وتقديرهم. إلاّ أن الأرسلانيين انقسموا على أنفسهم في أواخر الخلافة العباسية وتفرقت كلمتهم فانحاز بعضهم إلى الحمدانيين أو المراداسيين أو السلاجقة من حكام بعض مناطق سورية، وانحاز آخرون إلى الفاطميين حكام مصر وجنوبي بلاد الشام. ولما جاء الصليبيون واستولوا على مدن الساحل دارت بينهم وبين الأرسلانيين معارك كثيرة، فتعرضوا للتنكيل والقهر، وضيّق عليهم الصليبيون حتى اقتصرت ممتلكاتهم على بعض وادي التيم ومقاطعة الغرب، وكان حكام دمشق من البوريين والزنكيين والأيوبيين يستعينون بهم في وقائعهم مع الصليبيين وينجدونهم حين يتعرضون لغزو هؤلاء الفرنجة، كذلك أبلى الأرسلانيون بلاءً حسناً في حرب المغول، ونالوا رضى الملك المظفر قطز سلطان المماليك، وظلت أمورهم بين مدٍّ وجزر حتى دالت دولة المماليك. وفي العهد العثماني اتسعت ولاية الأرسلانيين حتى شملت قسماً كبيراً من أرض لبنان، ولكن انقسامهم وتنازعهم السلطة أضعفهم ومكن المعنيين من إقامة دولتهم في لبنان وأجزاء كبيرة من سورية، وكان بين الفريقين معارك كثيرة. كذلك اختلف الأرسلانيون مع الشهابيين بعد أن قويت شوكة هؤلاء. وحدث أن الأمير إسماعيل بن يوسف رسلان صاحب مقاطعة الغرب التحتانية كان قد تزوج الأميرة زليخا الشهابية فلم يرزق منها بولد. وتزوج من ابنة عمه بدر السماء فولدت له بنتاً، فلمّا مات سنة 1770م ادعى الأمير يوسف الشهابي أن إسماعيل أوصى بمتروكاته إلى الأمراء الشهابيين، واختلف الفريقان في قسمتها. ثم جرى الاتفاق على أن يكون لآل شهاب الثلثان وللأمير فخر الدين بن حيدر والأمير بشير من آل أرسلان الثلث من التركة. وينحدر الأمراء الأرسلانيون المعروفون اليوم في لبنان من الأمير فخر الدين أرسلان بن حيدر المتوفى سنة 780م.

تلقى علومه في مدرسة الحكمة والفرير والعثمانية في بيروت، ثم سافر إلى فرنسا للاختصاص في الأدب العالي وبعدها انتسب إلى الكلية الملكية في استانبول دون اتمامها وكان يتقن اللغتين التركية والفرنسية.

شغل وظيفة أمانة السر من الدرجة الأولى في وزارة الداخلية العثمانية في استانبول سنة 1913 م، ثم عين مديراً للمهاجرين في ولاية سورية عام 1914 م، وبعدها أسندت إليه قائمقامية الشوف في لبنان.

وفي سنة 1916م انتخب نائباً عن جبل لبنان في مجلس المبعوثين العثماني وظل في استانبول حتى الهدنة في سنة 1918م ثم عين حاكماً لجبل لبنان في خريف عام 1919 م، وبعدها مساعداً إدارياً لحاكم سورية العسكري العام في الحكومة الفيصلية، ثم مستشاراً سياسياً للملك فيصل عام 1920م واتخذه رسولاً في اتصالاته مع الإنكليز والفرنسيين ومع نهاية العهد الفيصلي سافر الى أوروبا، وبعدها استقر في شرقي الأردن، فعهد إليه برئاسة ديوان إمارة الأردن من عام 1921 إلى عام 1923 م، ثم سافر إلى الحجاز ولما احتل السعوديون مكة سنة 1925م نزح إلى مصر، ثم جاء إلى القدس فدمشق ليشارك في الثورة السورية الكبرى حيث. حكم عليه بالإعدام غيابا ثلاث مرات، أولها يوم دخول الفرنسيين دمشق في 24 تموز سنة 1920، والثانية عام 1921 م، والثالثة أثناء الثورة السورية عام 1925 م.

وقد ناضل الأمير النبيل في سبيل حرية بلاده واستقلالها، واشترك فعلياً في الثورة السورية، وكان من دعاتها ومؤسسيها وقاد جيوشها في كثير من المواقع وأصيب بجراح، وأقام مع إخوانه المجاهدين في النبك بعد انتهاء الثورة، ثم سافر إلى أوروبا وبقي فيها مشرداً مع القادة الوطنيين، وطاف البلاد العربية بمهام استقلالية واستمر على الكفاح والنضال إلى أن عقدت المعاهدة الفرنسية السورية عام 1936م عاد على أثرها الى سوريا عام 1937م حيث عين في العهد الوطني وزيراً مفوضاً لسوريا في أنقرة من عام 1937م إلى عام 1938 م، ولما انهار الحكم الوطني بانهيار مشروع المعاهدة اعتقله الفرنسيون وأبعدوه إلى تدمر، ثم أطلقوا سراحه ورجع إلى بيروت واستقر فيها.

وفي 17 حزيران سنة 1946م تقلد وزارة المعارف في الوزارة الثالثة للمرحوم سعد الله الجابري، ثم تقلدها عام 1947م في وزارة جميل مردم بك. انتخب نائباً عن الجولان في البرلمان السوري عام 1947م وكلف في 8 كانون الأول سنة 1948م بتشكيل الوزارة السورية، فاعتذر عن القيام بهذه المهمة، وكلف مرة أخرى فاعتذر، وكان مندوباً لسورية في مؤتمر فلسطين الذي عقد بلندن، وفي 19 نيسان 1949م عهد إليه برئاسة الوفد السوري إلى الأمم المتحدة، ولكنه استقال من هذا المنصب في 20 تشرين الأول سنة 1949م احتجاجاً على سياسة الحكومات العربية في معالجة قضية فلسطين.

وفي عهد حكومة حسني الزعيم تقلد وزارة الخارجية من 16 نيسان إلى 26 حزيران سنة 1949 م، ثم عين في أواخر هذه السنة وزيراً مفوضاً لسوريا في تركيا، وبقي حتى الانقلاب الواقع على حسني الزعيم، ثم عاد إلى مسقط رأسه في لبنان.

كان مصاباً بضعف في القلب، وقد ترددت النوبات القلبية عليه بصورة دورية، حتى انه أصيب في عام 1953م في بيروت بنوبة قوية، وكان لا يصغي لنصائح الأطباء قبلاً فازداد شحوبه، وكان يشعر بدنو أجله وأدرك أهله وأصحابه أن ميعاد القدر معه قد اقترب، وفي الساعة الثانية من بعد ظهر يوم السبت في 23 كانون الثاني 1954م و 18 جمادى الأولى سنة 1373هـ توجه إلى بيت السيد" نقولا بسترس" لتعزيته بوفاة نسيبته، وبينما كان خارجاً من القصر يهبط الدرج وقف مكانه وهو يرتعش ثم صاح: لم أعد استطع أرى، واختلج لحظة ووقع على الأرض ولفظ نفسه الأخير بالذبحة القلبية.

وهكذا سقط هذا القلب الكبير، وصمت ذلك اللسان البليغ، وانطفأت شعلة تلك الحيوية التي ملأت الشرق العربي جيلا، وبوفاته غاب عن دنيا العرب وجه من نخبة الرعيل الأول، أولئك الذين أطلقوا فكرة القومية العربية ودفعوا الشعوب العربية في طريق الاستقلال، ودفن بجانب أخوته في مقبرة الأمراء الأرسلانيين.

شعره:

كان الأمير شاعراً مفلقاً، وكاتباً ناثراً مبرزاً، وخطيباً مفوّهاً، ومن شعره البليغ قصيدة بكى بها شقيقه الأمير نسيب، وقد نظمها لما جاءه نعيه وهو في صحراء النبك بشرقي الأردن خلال الثورة، وبعث بها سنة 1927م إلى أهله يرثيه بها:

نفى النوم ما هاج الضمير المناجيا أفي الغيب ما أخشى، وإلا فماليا هواجس قد أصبحت بعد دبيبها أكاد إذا انصتّ أسمع ناعياً إذا تلعات النبك لاقت نواظري تمثل فيها ضاحك الروض باكيا وقفت على واد السراحين واجماً أخالط ليلاً بالملمات داجيا على النخلات الخمس يطغين في الدجى يشرن إلى المشتاق إلا تلاقيا تمايل من هوج الرياح كأنها نوادب يحثين التراب بواكيا ألا أن هولاً شد من كل جانب واطبق يستدجي عليّ النواحيا بلى قد مضى والقلب يهفو لذكره نسيب وخلى أهل الربع خالياً فيا نائياً أواه لو أن نظرة تزودتها من قبل أن صرت نائيا فديتك لو ترضى المنية فدية وهيهات ترضى بي لمثلك فاديا أتقضي ويعدوني الحمام مخاطراً» لعمري لقد أبطأت في العمر ماشيا ويخطئني سهم ويرديك غيره فيا لهفي ما أخبث الدهر راميا وختمها بقوله:

إذا الوطن المحبوب فاز بحقه وجدنا الرزايا في هواه تعازيا ولما ضرب الفرنسيون دمشق بالمدافع

وهدموا بعض أحيائها توجع لما حل بها من نكبات فقال:

أضاحية الفيحاء هل جفت الدما وهل آن للموتور أن يتبسما وهل أبطلت فيك المدافع رعدها وهل آذنت للطير أن يترنما سلام على الفيحاء من قلب موجع أبت نفسه في الحب أن يتظلما فتى أخذت أيدي النوى من شبابه فما تركت إلا فؤاداً متيما وعزماً يريه العام يوماً وليلة وصبراً يريه الفقر أحلى واحلما وما ضره أن يشمل الشيب رأسه وهل عاب نسر الجو إن صار قشعما نُعمت صباحاً جنة الأرض كلها واسكن من تبكينهم جنة السما ولا زلت في وجه الجزيرة شامة وأصبحت من باريس أعلى وأعظما سلام على الإخوان فيك ومن يطق على هجرهم صبراً فقد ذاق علقما.

وفاته:

كان مصاباً بضعف في القلب، وقد ترددت النوبات القلبية عليه بصورة دورية، حتى انه أصيب في عام 1953م في بيروت بنوبة قوية، وكان لا يصغي لنصائح الأطباء قبلاً فازداد شحوبه، وكان يشعر بدنو أجله وأدرك اهله وأصحابه أن ميعاد القدر معه قد اقترب، وفي الساعة الثانية من بعد ظهر يوم السبت في 23 كانون الثاني 1954م و 18 جمادى الأولى سنة 1373هـ توجه إلى بيت السيد نقولا بسترس لتعزيته بوفاة نسيبته، وبينما كان خارجاً من القصر يهبط الدرج وقف مكانه وهو يرتعش ثم صاح:

لم أعد استطع أرى، واختلج لحظة ووقع على الأرض ولفظ نفسه الأخير بالذبحة القلبية.

وهكذا سقط هذا القلب الكبير، وصمت ذلك اللسان البليغ، وانطفأت شعلة تلك الحيوية التي ملأت الشرق العربي جيلا، وبوفاته غاب عن دنيا العرب وجه من نخبة الرعيل الأول، أولئك الذين أطلقوا فكرة القومية العربية على الفكرة الطوارية، ودفعوا الشعوب العربية في طريق الاستقلال، ودفن بجانب أخوته في مقبرة الأمراء الارسلانيين.

المعاهدة السورية – الفرنسية 1936

■ حنين اليوسف

بعد الإضراب الخمسيني الذي شمل معظم المدن السورية عام 1936، صرح المفوض السامي بتاريخ 1 آذار 1936 بأنه "يوافق على إرسال وفد إلى فرنسا ليتقدم بنظرياته إلى الحكومة الفرنسية، لأجل تحضير معاهدة تكون فيها الحقوق التي يتمتع بها السوريون لا تقل عن الحقوق التي اعترف فيها للعراقيين في المعاهدة الأخيرة، مع التأكيد على أن فرنسا لها مصلحة في قضية الوحدة السورية وأنها لذلك لا تمانع في تحقيقها".

وفي اليوم التالي أصدرت الكتلة الوطنية بيانا حول نتائج اتفاقها مع المفوض السامي، ناشدت فيه المواطنين على العودة إلى أعمالهم وإنهاء إضرابهم حتى يتمكن الوفد الذي سيسافر إلى باريس من القيام بمهمته، ودعت الشعب إلى التضامن والوحدة والعمل معاً.

بتاريخ 14 آذار صدر مرسوم جمهوري بتسمية أعضاء الوفد السوري لمفاوضات باريس، وكان يضم كل من السادة: هاشم الأتاسي (رئيساً)، أحمد اللحام ونعيم أنطاكي (سكرتيرين للوفد)، وجميل مردم بك وفارس الخوري وسعد الله الجابري وأدمون حمصي ومصطفى الشهابي (أعضاء الوفد).

وصل الوفد إلى باريس في 25 آذار 1936 يرافقه المفوض السامي (دي مارتيل). استغرقت المفاوضات بين الوفد والحكومة الفرنسية مدة ستة أشهر تقريبا، كانت خلالها الكتلة الوطنية تطلع الشعب على مراحل المفاوضات وتعقد الاجتماعات في الأحياء السورية، وتعمل على وقف أي اضرابات أو تظاهرات، كما أنهت المقاطعة لشركة الجر والتنوير الفرنسية، كل ذلك كي لا تدع أي حجة للحكومة الفرنسية لعرقلة مهمة الوفد في باريس.

وصلت في هذا الوقت إلى الحكومة الفرنسية برقيات تحمل آلاف التواقيع من كل الطوائف والمناطق السورية تطالب باستقلال البلاد وبوحدتها وتؤيد الوفد السوري. وكذلك وصلت إلى دار المفوضية الفرنسية في بيروت عشرات البرقيات والتواقيع من أهالي طرابلس الشام تطالب بالوحدة مع سوريا، كما وصلت عرائض تحمل توقيع مئات من أهالي البقاع وراشيا، وأخرى من لواء اسكندرون.

ظلت المفاوضات السورية – الفرنسية بين مد وجزر إلى أن اتفقوا أخيراً على كل التفاصيل واحتفلوا بتاريخ 9 أيلول 1936 بمبنى وزارة الخارجية الفرنسية بتوقيع رئيس وزراء فرنسا السيد ليون بلوم ورئيس الوفد السوري السيد هاشم الأتاسي على هذه المعاهدة التي تنفيذها يشترط إبرامها من مجلسي النواب السوري والفرنسي.

عندما وصل خبر توقيع هذه الاتفاقية إلى الشعب السوري خرج الناس للاحتفال، وبدأت المدن السورية تتحضر لاستقبال وفدها المنتصر من فرنسا، والذي عاد في مطلع تشرين الأول 1936 ووصل حلب واستقبل هناك استقبالاً حافلاً أعدته له الكتلة الوطنية. كما حضر المفوض السامي من بيروت من أجل استقبال الوفد. ألقى السيد فارس الخوري خطاباً وصف فيه هذه المعاهدة بأنها "معجزة القرن العشرين". وعند وصول الوفد إلى دمشق قوبل أيضاً بالحماس والاحتفالات. وعلى الرغم من سقوط الفرنك الفرنسي أثناء هذه الاحتفالات وخسارة البلاد لملايين الليرات السورية بسبب ارتباطها بالفرنك الفرنسي، إلا أن الشعب حينها لم يعبأ بهذه الخسارات.

في 10 تشرين الثاني 1926 ألقى السيد فارس الخوري محاضرة على مدرج جامعة دمشق أوضح فيها أن المعاهدة تحدد العلاقات بين سوريا وفرنسا وتبطل الانتداب وتعترف باستقلال سوريا وتمتعها بالسيادة التامة داخلياً وخارجياً. ووصف السيد جميل مردم بك المعاهدة بأنها "عروسة الشرق" وقال عنها سعد الله الجابري "لم يبقَ على فرنسا إلا أن تعطينا مرسيليا".

وكانت باختصار بنود معاهدة 1936 كالآتي:

1 - تسود بين فرنسا سوريا صداقة وسلم دائمان.

2 - التشاور في كل أمر يتعلق بالسياسة الخارجية، وتقييم كل من الدولتين لدى الأخرى ممثلاً سياسياً.

3 - تنتقل يوم زوال الانتداب إلى الحكومة السورية كل المعاهدات والعقود الدولية التي عقدتها الحكومة الفرنسية باسم سوريا أو لصالحها.

4 - إذا أدى خلاف بين سوريا ودولة أخرى إلى خطر قطع العلاقات مع تلك الدولة، تتداول الحكومات لتسوية الخلاف بالطرق السلمية. وفي حال خطر الحرب، يتداول الطرفان لاتخاذ التدابير الضرورية.

5 - مسؤولية حفظ النظام في سوريا والدفاع عن أراضيها تقع على عاتق الحكومة السورية، والحكومة الفرنسية تقدم مساعدتها العسكرية مدة المعاهدة.

6 - مدة المعاهدة خمس وعشرون سنة، وتفتح المفاوضات لتجديد المعاهدة بناء على طلب إحدى الحكومتين اعتباراً من السنة العشرين بعد وضعها موضع العمل.

7 - تبرم المعاهدة ويتم تبادل صكوك الإبرام بأسرع ما يمكن. وتوضع هذه المعاهدة موضع العمل يوم قبول سوريا في عصبة الأمم.

8 - حالما توضع المعاهدة موضع العمل تسقط عن الحكومة الفرنسية مسؤولياتها فيما يتعلق بسوريا وتنتقل للحكومة السورية.

9 - أبرمت هذه المعاهدة باللغتين العربية والفرنسية ولدى الخلاف يعول على الفرنسية.

أصدر المفوض السامي قراراً يحدد موعد الانتخابات النيابية لانتخاب مائة وأربعة نواب يوم 30 تشرين الثاني 1936. وفي يوم 9 كانون الأول صدر مرسوم جمهوري يعلن أسماء الفائزين بالانتخابات، وسجلت الكتلة الوطنية الفوز الساحق.

في تاريخ 21 كانون الأول 1936 أصدر السيد هاشم الأتاسي وكان رئيساً للجمهورية مرسوماً بتأليف وزارة جديدة برئاسة جميل مردم بك، الذي أحدث ولأول مرة منذ الانتداب الفرنسي وزارتين للخارجية (برئاسة سعد الله الجابري) والدفاع الوطني (برئاسة شكري القوتلي)، وذلك للتأكيد على استقلال البلاد داخلياً وخارجياً. وفي 22 كانون الأول صدق المجلس النيابي على المعاهدة المعقودة مع فرنسا، وجرى إبرامها من الجانب السوري وذلك بقانون نشره رئيس الجمهورية في 27 كانون الأول 1936.

وعلى الرغم من مصادقة مجلس النواب السوري على المعاهدة حسب الاتفاق، إلا أن الوطنيين لمسوا مماطلة من قبل الحكومة الفرنسية ومجلس النواب الفرنسي في إبرامها. عندها قام السيدان جميل مردم بك وسعد الله الجابري في 3 شباط 1937 بالسفر إلى فرنسا لمفاوضة الحكومة لتقوم بإبرام المعاهدة.

سافر رئيس الوزراء مرة أخرى إلى فرنسا في 25 أيار 1937 لذات السبب، ولكن أثناء وجوده في باريس صدر قرار عصبة الأمم بشأن سنجق اسكندرون، فاضطر رئيس الوزراء إلى التوجه إلى أنقرة مباشرة لبحث شؤون اللواء. وفي نهاية شهر تشرين الثاني سافر رئيس الوزراء مردم بك مرة ثالثة إلى باريس، أجرى خلالها محادثات مع وكيل وزارة الخارجية الفرنسية، وفي 11 كانون الأول 1937 جرت مراسلات بينهما نصت على ضمانات من الحكومة السورية باحترام الأحوال الشخصية للأقليات، وإقامة نظام خاص للخبراء الفرنسيين.

وفي 10 آب سافر رئيس الوزراء للمرة الرابعة إلى باريس، لكن مساعيه لم تنجح رغم كل الجهد الذي بذله ليجعل الحكومة الفرنسية تبرم المعاهدة كما تم الاتفاق قبل سنتين خلال المفاوضات السورية – الفرنسية. بل على العكس قامت فرنسا باستغلال الاضطرابات في سوريا بسبب تأزم الأوضاع في البلاد والانقسام بين صفوف الكتلة الوطنية، فركزت على تغذية الحركات الانفصالية، وزادت من دعمها لعملائها من أجل إثارة النعرات الطائفية في جبل العرب.

هذه كانت نهاية المعاهدة التي كذبت بشأنها فرنسا، فلا هي أبرمتها ولا نفذتها بل ماطلت سنين قبل أن تظهر نيتها بشكل واضح وعلني على أنها لن تقوم بأي خطوة من أجل إبرامها كما جرى الاتفاق. ومما وضح نيتها أكثر تصريح مقرر لجنة الشؤون الخارجية في البرلمان الفرنسي في كانون الأول 1938 الذي جاء فيه "إن سوريا مجموعة شعوب، وإن فكرة المعاهدة خاطئة في حد ذاتها، وإن لجنة ستأتي إلى سوريا لدراسة الحالة من جديد".

شام داود

ومن الجوامع محبوبي طالع... بيهتف سوريا سوريا... دولة مدنية
ووسط الكنايس محبوبي جالس يدعي بسوع يحمي ترابك سوريا

إياد عماشة

عندما يهتم قامة أدبية وإنسانية كبيرة، كالأديب والكاتب السوري زكريا تامر، بالمرور على جميع ما يكتبه الشباب السوري اليوم عن الثورة والحب، يضع "لايك" هنا ويبدي إعجابه بما يكتبه ذاك، فذلك يعتبر إشارة هامة أخرى على أن الشعب السوري الثائر عارف طريقو.

رجاء عجمي

مصر يا حبيبتي ما تزعلي مني ولا تخدي علي خاطرك!! ما منعني عنك إلا الشديد القوي.. وما تمر به سوريتي أقوى بكتير من ما تمري به أنت.. وشبابنا بالتحرير قايمين بواجبهم حتى إرجاع الثورة إلى مسارها الصحيح وتعيشي يا أم الدنيا حرة بهية مدنية..

طارق ملص

بدل ما تحكي برصاصة.. ورد عليك بالبارودة.
ليش ما بسمعك شي لباخ.. وبتغنيلي الحاصودة..

رودي عثمان

أنا سوري... ولست كوردستاني
فأنا كوردي سوري قبل أن أكون كوردستانياً
كوردي القومية... سوري الإنتماء

أحمد صلال

نصف حرية.. موت كامل
لذلك نحن نعشق الحياة.. حتى إن لم نستطع إليها سبيلا

راشد عيسى

أعرف الكثيرين ممن هم ضد الثورة من اللحظة الأولى، بل حتى قبيل اندلاعها، حين راحوا يشتمون الثورات العربية تحسبا، اليوم تجدهم وكأنهم وجدوا ضالتهم في السلام، كي يرتدوا عباءة الحكماء: يا أخي كنا سنكون مع الثورة لولا أنها حملت السلاح، لولا أنها... ولولا أنها...

هديل مرعي

المراقبون نيام.. وحمص لا تنام
الوحش لا يترك الأميرة بحالها

حازم العظمة

بمناسبة وقوف حكام وملوك الأردن والعراق ولبنان إلى جانب أشقائهم في سورية: هناك مثل ألماني يقول: الغربان لا تقفأ أعين بعضها البعض..

عماد الصوفي

كلنا نعرف أن النظام إن التزم بوقف قتل المتظاهرين السلميين فان ملايين ستحتل الساحات.... وباي باي نظام..... هل هناك احد لديه ذرة من عقل يعتقد النظام يسلم بهذه السهولة.. ؟؟؟ لنتهيأ للأسوأ أيها الأصدقاء

فادي أبو زيد

ثورة الشارع لا تصنع ثورة اجتماعية.. ولا تقضي على التخلف! هذه المعضلات بحاجة الى ثورات فكرية..

خلود زغير

نموت اليوم بكثافة.. لأننا نريد أن نحيا طويلاً..
نرقص وتغني أكثر للموتى.. لتصعد أرواحهم أعلى..

فرزاند عمران

الكل بدون استثناء مقتنع أني بالأخير في ضربة عسكرية هي بلي رح تحط النقط على الحروف
بلي خايف منو أني لبين ما يحطو النقط تكون الحروف تهشمت و التعن نفسها و ما عاد في حاجة لا للتنقيط و لا للحكي كلو

ريم علي

كلما سألت عن سيارتي... يقولون لي لم تنته التحقيقات بعد.. مع سيارتي ؟!
الحرية لك يا سيارتي... بعرفك قدها و قدود
بانتظارك يا غالية:)

تانيا برغلي

عندما نبالغ جدا في نظرية المؤامرة ضد الشعب السوري، فإننا نقع بفخ التفكير السطحي الذي تمارسه السلطة البدائية في سوريا، ونعذب أنفسنا كثيرا، وثورتنا ليست من أصحاب التفكير السطحي وليست ثورة عويل وتعذيب للنفس.

ميخائيل سعد

اقترح أن يكون من مهام المراقبين الدوليين اصطحاب الكتاب والفنانين العرب المؤيدين للنظام وممانعته في جولات إطلاعية على منجزات نظام الأسد خلال عام في المدن والبلدات السورية لعل الغشاوة التي تغلف عيونهم تنقشع.

سهى رحال

ليست قليلة تلك الدعوات التي أطلقها العديد من الشخصيات التي لها وزن إعلامي و شعبي.. مستنكرة الرقص و الغناء في المظاهرات.. الشعب السوري العظيم عارف طريقه بدونكم و بغض النظر عن توجيهاتكم.. و ربما باستيعابكم فكم هو كبير !.. أجمل و أروع ما تميزت به المظاهرات السورية و لعلها ستكون ماركة مسجلة للشعب السوري الحر.. هي أغانيه و ببكائه ورقصه في قمة الحزن و المأساة... الحياة تنتصر رغم كل شيء...

سعاد جروس

قلبي على القصير.. وقلب القصير يضرب بالنار...

عروة نيربية

الخالدية تحت قصف صاروخي "وطني".
الإخبارية السورية: "العثور على بيض ديناصورات في الشيشان".

وليد قوتلي

صدق أو لا تصدق ! لافروف:الناس يقتلون على أيدي العصابات المسلحة

محمود محمود

على الأقل؛ لنحاول لملمة الأمل إن لم نكن قادرين على الاستشهاد.

عمرو كوكش

صايرة ثقافة الموت ما في أسهل منها.. ممكن يكون رفيقي عم يدخن عالشباك و يروح برصاصة قناصة مثلا و اكتر شي ساويه انو قوم صوروه وابعتوا للجزيرة.. صار الموت عادي.. عم يمشي بيناتنا.. موجود بأي سهرة معنا.. متلوا متل كاسة الفودكا و تدخين الحشائش

نصري حجاج

لم تُخف أُمي وجهها الجميل لا بحجاب ولا ببرقع ولا بنقاب. كانت ترتدي منديلاً أبيض رقيقاً يُظهر أحياناً ذؤابات شعرها، حرصت في سنوات عمرها الأخيرة أن تُخفيها وقد أُدت فريضة المسلمين بالحج إلى مكة مرتين وثالثة هدية لابنها الطفل الشهيد الذي قتله الجيش السوري في لبنان عام 1976.
كانت أمي تصلي خمساً وتدعو إلى الله كلما أحست ببلاء لكنها لم تكن سلفية ولا إخوانية ولا أصولية. كانت تُحب جمال عبد الناصر وأغنيات فريد الأطرش وأم كلثوم وأسمهان وتتابع المسلسلات جميعاً.
أحب أن أعتقد بأن أمي لو كانت على قيد الحياة اليوم لهتفت لسوريا حرة مدنية ديمقراطية علمانية!

قدم وفدٌ من مرتدي البدلات إلى مقبرة البلدة التي ازدحمت بالقبور الجديدة لتكريم الشهداء الذين شكلوا بدمائهم الدرب الذي تحققت به حرية الوطن وخلاصه من مُرتدي بدلات سابقين أتاحت لهم طول فترة بقائهم اقتطاع جزء كبيرمن مكوناته الطبيعية و المادية فوق الطبيعية و البشرية، حاملين معهم أكاليل الزهور و تحيط بهم الحشود و كاميرات الصحفيين و بعض الهواة و المفوّهين الذين يبحثون لأنفسهم عن مجدٍ متبق قد يحدث أن يعثروا عليه ما بين تلك البناطيل المُحددة الحواف بعناية، و عبق روائح عطورهم الباذخة..
بدأت إحدى تلك البدلات الحديث بتعدادها لأنواع و أماكن المقاعد التي تسببت بإحداث تجاعيد في كسرات بناطيلهم و ملابسهم الداخلية منذ بدء نضالها حتى عودتها للوطن..
أما البدلة الثانية فبدأت حديثها عن مدى السأم الذي كان يتسلل إليها أثناء ركوبها في الطائرات متنقلة من مؤتمر إلى مؤتمر، و العدد المحدود من الخيارات في قائمة الطعام التي كانت تقدم على متن تلك الرحلات..
الثالثة باشرت حديثها عن عدد زجاجات دواء السعال التي كان يتناولها بسبب البحة التي أصابت حنجرته من كثرة الخطب و المؤتمرات الصحفية..
و بعد أن انتهت جميع البدلات من حديثها و حفت جلبة التصفيق التفت الجميع إلى مصدر صوت ضحكة قادمة من بين القبور فعمّت الدهشة و السكون المكان و لم يبق إلا صوت الضحكة يصدح في المكان، فهرعوا للبحث عمن يطلق تلك الضحة.. فتّشوا المقبرة قبرا قبرا فلم يجدوا شيئا رغم استمرار صوت الضحكة وارتفاعه.. و لم يعرفوا من حينها من كان يطلق كل تلك الضحكات ولماذا!!!

علي قطيفان

| الملازم طلاس، هل يتم إعدام الشبيحة (مليشيات النظام) ؟ وإذا كانت الإجابة بنعم، هل هي حالات فردية أم تتم بشكل ممنهج، مثلاً بعد التثبت من الإدانة؟

| | لقد كانت مهمة الجيش السوري الحر في حمص منذ البداية حماية المتظاهرين ودعم عمل لجان التنسيق المحلية في حمص. ومن خلال هذا التعاون كنا قادرين على إبلاغ العالم عن مجازر النظام. ولم تقم كتيبة الفاروق حتى الآن بأية عمليات إعدام للشبيحة أو للجنود الأسرى، فالكتيبة لا ترى نفسها كمحكمة.

| هل يوجد في حمص ما وصف في مقالة دير شبيغل من محاكم ميدانية وكتيبة استجواب وكتيبة دفن؟

| | لا. لا يوجد لا محاكم ميدانية ولا كتيبة إعدام، كما لا يوجد كتيبة استجواب وإنما يقوم عادة قادة كتيبة الفاروق باستجواب المعتقلين دون ممارسة أي تعذيب نفسي أو جسدي.

| ما هو عدد المقتولين من أفراد الجيش النظامي والشبيحة وأنصار الأسد؟

| | يجب علينا أن نميز بين أمرين في صراع الجيش السوري الحر مع قوات الأسد، الأمر الأول هو حماية المدنيين، والأمر الثاني هو مهاجمة حواجز الجيش النظامي حيث يقتل أيضاً" العديد من جنود النظام. لكننا للأسف لا نستطيع إعطاء رقم محدد. أما بالنسبة لإعدام أشخاص مستهدفين بعينهم فهذا ما لم نقم به أبداً".

| كيف يقوم الجيش الحر بالتحقق من إدانة المعتقلين؟ وما هي وسائل التعذيب في حال كانت مستخدمة؟

| | لا نستخدم وسائل تعذيب أثناء الاستجواب.

| هل هناك أي تعاون بين كتيبة الفاروق ولجان التنسيق المحلية في محاكمة المعتقلين؟

| | لا نقوم بمحاكمة المعتقلين وإنما باستجوابهم بهدف جمع المعلومات والأدلة. كما نقوم بتسجيل أشرطة فيديو لهم يروون فيها أعمالهم في مقابل الإفراج عنهم. بعد ذلك لا يحدث أي عقوبات.

| هل يماثل عمل كتيبة الفاروق ما يحدث في مراكز الاحتجاز الأخرى؟ أم أن هناك ديناميكية مستقلة لا تنطبق إلا على حمص؟

| | تعمل كافة قوات الجيش الحر وفق الأخلاقيات نفسها والمبدأ نفسه. اخترنا الوقوف إلى جانب حرية الشعب السوري بحيث يتمكن من انتخاب حكومته وبرلمانه بشكل حر.

| ماذا تفعل كتائب الجيش الحر الأخرى بسجنائها؟

| | كما كتيبة الفاروق تبادل الكتائب الأخرى سجناءها مع النشطاء المعتقلين لدى النظام. وأفضل مثال على ذلك هو إطلاق سراح السجناء الإيرانيين، ومبادلة الجنود الإيرانيين بنشطاء سوريين معتقلين. أحياناً نقوم بالإفراج عن المعتقلين دون مقايضة، وخاصة عندما نتأكد من عدم أهميتهم بالنسبة للنظام. ونحن بذلك نعطيهم الفرصة لإعادة النظر في موقفهم من النظام، وقد انضم فعلاً العديد منهم للجيش الحر. نحن نعلم أن لدى هؤلاء السجناء آباء وأشقاء وهم يعانون أيضاً" من تهديد النظام وابتزازه لهم.
نحن نطلب من العالم (الذي لم يستطع مساعدتنا حتى الآن) على الأقل ألا يحط من قيمة ثورتنا.
مع ملاحظة بأن المقال ككل، ساهم وبشكل كبير في نقل صورة (غير صحيحة) سيئة جداً للجيش الحر | موقع صفحات سوريا

السؤال والجواب: من لقاء مع عبد الرزاق طلاس، قائد كتيبة الفاروق | أجرى الحوار جنكيز دورسون في مقال بجريدة دير شبيغل الألمانية بعنوان (سياف من باب عمرو)

الهيمنة أم البقاء: سعي أمريكا للسيطرة العالمية

■ ياسر مرزوق

نعوم تشومسكي شخصية خلافية على الصعيد العالمي. هناك من يعده قديساً، ومن يعده مجرماً يستحق أشد أنواع العقاب هذا الطيف الواسع من ردود الفعل تجاه الرجل يعود إلى تصديه، من موقع جذري لطيف واسع من المسائل التي تهم المسحوقين من بني البشر، في مواجهتهم اليومية المستمرة مع النخبة المحظوظة، التي تحاول إلغائهم وتهميشهم في فلسطين، تيمور الشرقية، نيكاراغوا، إسبانيا الجمهورية، فيتنام، العراق والقائمة تطول.

ولد "إفرام نعوم تشومسكي" في فيلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية. تخرج من جامعة بنسلفانيا عام 1949، وحصل على درجة الدكتوراه عام 1955. التحق تشومسكي بهيئة التدريس في معهد ماساشوستس للتقنية في 1955. حالياً هو أستاذ اللغويات في معهد "ماساتشوستس للتكنولوجيا". و صاحب نظرية النحو التولدي، التي كثيراً ما تعتبر أهم اسهام في مجال اللغويات النظرية في القرن العشرين. وقد أسهم كذلك في إشعال شرارة الثورة الإدراكية في علم النفس من خلال مراجعته للسلوك الفعلي "لـ ب. ف. سكينر"، والذي تحدى المقاربة السلوكية لدراسة العقل واللغة والتي كانت سائدة في الخمسينات. مقاربته الطبيعية لدراسة اللغة أثرت كذلك على فلسفة اللغة والعقل ويعود إليه كذلك فضل تأسيس ما أصبح يُعرف بـ "تراتب شومسكي"، وهي تصنيف اللغات الرسمية حسب قدرتها التوليدية. وحسب فهرس مراجع الفنون والإنسانيات، بين 1980 و 1992 ذكر اسم شومسكي كمرجع أكثر من أي شخص آخر حي، وكثامن شخص على الإطلاق.

أنشأ تشومسكي قواعد النحو التحويلي، وهو نظام يصف بدقة الأحكام التي تحدد كل الجمل التي يمكن تكوينها في أي لغة. قامت نظرية تشومسكي على أن كل إنسان يعرف المبادئ العامة للغة منذ مولده، وأن هذه المبادئ موجودة في كل لغة، لتكون قواعد شاملة لها. طور تشومسكي هذه النظرية، لأنه كان لا يتفق مع الفكرة القائلة إن الأطفال يتعلمون الكلام بتقليدهم للآخرين فحسب. كان التعلم بالتقليد في نظره، لا يوضح الكيفية التي يكوّن بها الأشخاص جُملاً لم تستعمل من قبل على الإطلاق. وكان يعتقد أن سماع اللغة المتكلم بها يعمل على تحفيز المقدرة اللغوية الموجودة لدى الطفل منذ المولد.

بالإضافة إلى عمله في اللغويات، "فشو مسكي" معروف على نطاق واسع كناشط سياسي، مناهض للسياسة الخارجية للولايات المتحدة والحكومات الأخرى، وقد ألف كتاب قراصنة وأباطرة يفضح فيه لعبة الإرهاب الدولي، وتقاسم الأدوار. ويصف شومسكي نفسه بأنه اشتراكي تحرري، وكمتعاطف مع التضامنية اللاسلطوية (وهو عضو في نقابة عمال العالم الصناعيين) وكثيراً ما يُعتبر منظراً رئيسياً للجناح اليساري في السياسة الأمريكية.

وفي كتابنا اليوم يؤكد تشومسكي أن سياسات أمريكا في أفغانستان والعراق لم تكن رداً على أحداث 11 أيلول، بل استمراراً لسياسة خارجية مستمرة منذ نصف قرن؛ وهي "إستراتيجية إمبريالية كبرى" تسعى الولايات المتحدة من خلالها إلى الإبقاء على هيمنتها العالمية من خلال "استخدام القوة العسكرية أو التهديد باستخدامها" وهو التحليل الذي من أثار عاصفةً من الجدل والتشكيك في أمريكا التي تغيرت بعد أحداث أيلول. إلا أن تشومسكي يبني فرضياته بحذر، ويدعم ادِّعاءاته بتوثيق ملائم للمراجع، دون أن يغفل الإجابة عن بعض الادعاءات المضادة التي قد تواجهه. كما أنه ينتقد بشدة عدم التوازن الأمريكي فيما يتعلق بتوجيه تهمة "الإرهاب"، مؤكداً أن التعريف القانوني الرسمي الأمريكي للإرهاب ينطبق تماماً على السياسة الخارجية الأمريكية، وخاصة عندما يتعلق الأمر بكوبا وأمريكا الوسطى وفيتنام ومعظم بلدان الشرق الأوسط. إلا أن وسائل الإعلام الأمريكية لا تستخدم هذا المصطلح هنا، حتى عندما أدانت محكمة العدل الدولية واشنطن، في العام 1986، بسبب "استخدامها غير القانوني للقوة" يعني "الإرهاب الدولي"، على حدِّ قول تشومسكي في نيكاراغوا.

وكتاب اليوم صياغة موسَّعة لمحاضرة ألقاها في 7 تشرين الأول 2003 في جامعة" إيلينوي " يحلل فيها ثوابت السياسة الأمريكية الجديدة ويلخصها بثلاثة محاور:

أولها هو الإعلان، في السابع عشر منه، عن إستراتيجية الأمن القومي التي تصرِّح بأن على أمريكا أن تسعى للسيطرة على العالم، حتى باستخدام تفوقها العسكري الهائل، الذي ربما يفوق العالم مجتمعاً، بهدف الوصول إلى الهيمنة الشاملة، دون أن ينازعها أحد في ذلك.

وثاني تلك المحاور هو بدء قرع طبول الحرب، مع إعلان كوندوليزا رايس أن الدليل التالي من صدام حسين لن يكون إلا المظلة النووية؛ مما أطلق حملة الدعاية الكبيرة التي جعلت من العراق خطراً على الولايات المتحدة، رغم أن جيرانه الذين يكرهونه لا يخشونه. ولكن الهدف الحقيقي من الهجوم على العراق لم يكن إلا توضيحاً عملياً لجدية مبدأ الهيمنة الأمريكية في عمل يكون "عِبرة" < وأن أمريكا ستقوم فعلاً بالهجوم على أيِّ بلد في العالم، حتى من دون ذرائع معقولة أو مقبولة، ومن دون ترخيص دولي. ومن الملفت أن إستراتيجية الأمن القومي لا تتحدث عن الشرعية الدولية الممثلة في هيئة الأمم المتحدة؛ كما أن "كولن باول"، في كانون الثاني 2003، في المنتدى الاقتصادي العالمي، الذي تغيرت مناخاته كثيراً ذلك العام، لم يبالِ كذلك بمعارضة شديدة من طبقة رجال الأعمال التي تملك العالم والتي تشارك في هذا المؤتمر. وكان واضحاً أن الولايات المتحدة تطالب الآخرين باللحاق بها، مهدِّدة الأمم المتحدة بضرورة تبرير أفعالها، ومؤكدة أنها ستجتاح العراق، حتى لو غادر صدام وعائلته.

أما المحور الثالث فهو افتتاح حملات الكونغرس الانتخابية، حيث أكد كارل روف أن التركيز يجب أن يكون على قضايا الأمن القومي في حملات المرشحين: فالسياسات الاقتصادية والاجتماعية للحزب الجمهوري لا تصلح للسباق الانتخابي بسبب لا شعبيتها، لأنها موجهة ضد مصالح غالبية الجمهور. وكان واضحاً أن عدداً أكبر من الناس اقتنع بجدية الخوف من العدو الشيطاني الذي يهددهم، فانصاعوا لهذه السياسات. وبالتالي فقد تمَّتْ استعادة سياسات رونالد ريغان في السيطرة على الجمهور المحلي عن طريق "ضغط زر الرعب"، لكنْ بحماسة وعزيمة أكبر. ورغم أن ريغان كان مكروهاً، إلا أن إدارته استمرت في الحكم 12 عاماً (ولايتَي ريغان ثم ولاية بوش الأب).

ينتقل تشومسكي بعد ذلك إلى مناقشة غزو العراق وتأثيراته. فاجتياح العراق لم يكن إلا تجربة لمبدأ "الحرب الاستباقية" preemptive war، رغم أن هذا المصطلح لا ينطبق هنا؛ فهو من الناحية القانونية، التي لها مشروعية ما، يعني القيام بضربة رادعة عندما لا يسمح الوقت أو الظرف باللجوء إلى مجلس الأمن (وهو ما يسمَّى أحياناً "الحرب الوقائية" preventive war أو "الدفاع الاستباقي عن النفس" anticipatory self-defense)، كما هي الحالة لو أن بارجة كانت تتجه نحو الولايات المتحدة، وليس هناك وقت لتدخُّل مجلس الأمن: ففي حالة كهذه من الممكن للولايات المتحدة أن تقوم بقصف هذه البارجة دفاعاً عن النفس. وهي حالة غير منطبقة هنا، بسبب عدم وجود مثل هذا التهديد الواضح، بل كان تهديداً خيالياً دفع حتى الوسط التقليدي الأمريكي إلى احتجاج شديد اللهجة. فآرثر شليسنْغِر Arthur Schlesinger قال، بعد بدء القصف على العراق، إن هذا الفعل يماثل فعل اليابان الإمبريالية في عملية بيرل هاربُر، التي قال عنها الرئيس روزفلت إنها يوم سيعيش في العار، لكنه عار أمريكا هذه المرة.

يناقش تشومسكي بعدئذٍ أن السياسات الراهنة لأمريكا لا تهدف، كما هو معلَن، إلى منع انتشار أسلحة الدمار الشامل ومكافحة الإرهاب؛ إذ من الواضح أن هذين السلاحين هما سلاح الضعيف. ولذلك يصير السباق عليهما أهم لأن أمريكا، بتجاهلها لكوريا وتركيزها على العراق، بلغتْ رسالة واضحة، مفادها أن العراق (إضافة إلى كونه مركز منطقة النفط الشديدة الأهمية) ضعيف تماماً بعد أن أنهكه الحصار؛ وبالتالي فإن على الدول الأخرى أن تسعى إلى زيادة تسليحها، وبالأخص ضد الإرهاب وأسلحة الدمار الشامل، لأنها وسائل الردع المتاحة أمام الدول الأفقر. فقوة كوريا الشمالية النووية هي ما منع أمريكا من مهاجمتها، رغم أنها أخطر من العراق، وبسبب أسلحتها التقليدية أيضاً. ومخططو الإدارة يعلمون ذلك، لكن الأمر غير مهم في نظرهم؛ فالمهم هو أن المجتمع الداخلي الأمريكي، رغم معارضته للحرب، سيضطر إلى موافقة الإدارة على سياساتها بسبب الأخطار التي تصير، أكثر فأكثر، أخطاراً حقيقية. والمهم هو الوضع الانتخابي، لأن الإدارة ترتكز على هامش انتخابي ضيق للغاية (انتخابات 2000 المشكوك فيها، وانتخابات 2002 وأغلبيتها البسيطة). ثم يمضي في مناقشة مفصلة لسياسة الإدارة في الكذب، وفي تكرار الكذبة مراراً وبصوت عال، حتى تصير حقيقة. أما الحقائق، وتحديداً الحقائق والتفاصيل المحددة، فهي أمور غير مهمة!.

ثم يعود إلى التفصيل في أهداف الحرب على العراق وإستراتيجيتها في إرعاب الأمريكيين "الضغط على زر الرعب"، مقارناً بين سياسات ريغان في نيكاراغوا وغرينادا وبين سياسات جورج دبليو بوش الراهنة، مؤكداً على تأثير العجز المالي الداخلي في تسويق سياسات الجمهوريين تجاه تقليص الإنفاق على الضمان الاجتماعي والتعليم والتأمين الصحي، لمصلحة قلائل من الأثرياء، كما جرى في العهد" الريغاني"، لكن بتطرف أكبر، خاتماً بالإنجاز الأكبر لحملة الدعاية هذه، التي حققت نتيجة مذهلة، ليس فقط في وسائط الإعلام، بل حتى بين المعلقين والمفكرين والمحلِّلين والأكاديميين الأمريكيين، في أن الحكومة الأمريكية تستطيع الاستمرار في ادِّعاءها أنها تسعى إلى هدف نبيل، هو فرض الديمقراطية في الشرق الأوسط. وهذا الادعاء يلقى القبول، رغم أن كره الإدارة الأمريكية واحتقارها للديمقراطية قد توضح بشكل غير مسبوق، مثلاً في التمييز بين أوروبا "القديمة" (الأشرار) وبين أوروبا "الجديدة" (الطيبين)، الذي لم يكن سببه إلا أن حكومتَي فرنسا وألمانيا قد استجابتا للإرادة الشعبية في معارضة الحرب؛ أما أوروبا "الجديدة"، ممثلة في حكومتَي خوسيه ماريا أثنار وسيلفيو برلوسكوني، فقد تجاهلت الإرادة الشعبية في إسبانيا وإيطاليا، الأكثر معارضة للحرب، بأغلبية ساحقة تفوق حتى نسبة المعارضة في فرنسا وبريطانيا، وساندت الحكومة الأمريكية في حربها، فاستحقت الثناء عليها! أما الأكثر إثارة للدهشة فهو أن الحكومة التركية لقنتْ أمريكا درساً في الديمقراطية عندما وافقتْ على مطالبة 95٪ من الأتراك بعدم مساندة الحرب، رغم تهديدات الحكومة الأمريكية المباشرة، مما جرَّ عليها نقمة كبيرة من جانب الحكومة الأمريكية، التي وَسَمَتْ حكومة تركيا بأنها "غير ديمقراطية"، ومن جانب بول فولفوفيتز (الذي تتم الإشارة إليه على أنه صاحب الدور المركزي في الدعوة لـ"دَمْقَرَطة" الشرق الأوسط)، الذي أدان الجيش التركي لعجزه عن التدخل لإقناع الحكومة التركية بالتعاون مع أمريكا، مؤكداً أنهم سيندمون ويجب أن يعتذروا عن هذا الموقف، حتى ينالوا شهادة ديمقراطية من أمريكا!.

المدهش، يقول تشومسكي، أن لا أحد ضحك أو علَّق على هذا التناقض، كأن المثقفين الأمريكيين جثث هامدة، أو بتعبيره، أصحاب intellectual culture of Zombie.

لي أن أختم قراءتنا اليوم ببعضٍ من أقوال تشومسكي المأثورة:

"إذا لم نكن نؤمن بحرية التعبير لمن نحتقرهم فنحن لا نؤمن بها على الإطلاق".

"للأسف لا يمكن التخلص من الأوغاد عن طريق الانتخابات، لأننا لم ننتخبهم أصلاً".

"هناك سبب وجيه لحقيقة أن لا أحد يدرس التاريخ، وهو أنه يعلمك أكثر من اللازم".

"إذا كنت تؤمن بحرية التعبير، فأنت تؤمن بحرية التعبير عن الآراء التي لا تعجبك".

الصرخة السوريّة و«الإله» المفقود

(النص الكامل)

■ نبراس شحيد (راهب يسوعي سوري)

الصرخة:

يستولي على بعضنا شعورٌ عامٌ بالإحباط، فالنظام مسرفٌ في القتل، والأفاق السياسية شبه مغلقة، والكثير من الشباب يُساق إلى العنف، والمجتمع الدولي يتلاعب بنا، حتى "اللّه، قال لي أحد الأصدقاء، تخلّى عنا"! كتبت عشتار على حائط "الفايسبوك": "إلهي لماذا تركتنا وحدنا؟؟ ألم نقض من العمر ما يكفي بحثاً عنك؟؟ فلِمَ لا تجدنا؟؟ وجدناك منذ طفولتنا... تعمدنا... وقرأنا الفاتحة... بكينا الحسن والحسين... ولمْ تجدنا"

"إلهي، إلهي، لمَ تركتني؟":

قبْل الصرخة هذه بألفي عام، صرخ في مثل هذا الوقت من السنة - بحسب المعتقد المسيحيّ - ناصريٌ مصلوبٌ على خشبة: "إلهي، إلهي، لمَ تركتني؟". استطاع بعضهم تسكين شيء من حدة الكلمات هذه حين تمّ تأويلها انطلاقاً من أحد المزامير الذي يبتدئ بها، منتهياً بتسليم الأمر "للّه". لكن الإحالة على المزمور هذا، وإن هدأت شيئاً من قلق السؤال، فإنها لا تستطيع أن تنزع من الكلمات هذه صرختها وما تخبئه من ألم واستغراب موجع، لتتضاعف حدّتُها حيْن تُجرَّد منْ إطارها الإيمانيّ، فتعبِّر حينها عن مأساة الإنسان في عالم أشبه بالعبث. وهنا، يمكن الصرخةَ حين تُؤوَّل بطريقة أشدّ راديكالية، أن تعبِّر عمّا سمّاه بعض الفلاسفة "موت اللّه"، للدلالة على سماءٍ صمّاء لا تسمع صراخ الإنسان، أو على ما أطلق عليه بعض اللاهوتيين والفلاسفة أيضاً اسم "موت اللّه"، لكن مجازيّاً، للدلالة على موت تصوّراتنا القديمة عن "الإله"، أو على تبنّي "اللّه" جوهرياً ألم الإنسان وموته.

في جدليّة الألم:

أيّاً يكن توجهنا الديني أو الفلسفي، ستبقى الكلمات الموجعة هذه صرخةً في وجه اللامعقول. وكصرخة، ستقوم هذه الكلمات على حالةٍ جدليّة تقول شدة الألم، لكن لتقاومه من خلال التعبير عنه. بمعنىً آخر، تُبدِّل الصرخة من طبيعة الألم، عندما تصير الصرخة كلمة، ليصير الألم تعبيراً، ويضيف السوريون: فناً وشعاراتٍ وأغنيات! هكذا، تستحضر الصرخة حياةَ الإنسان الداخليّة بعريها، بعيداً عن التزيّن أو الحشمة، لكن، لتجعل من الألم كلمةً تتجاوز هيجان العواطف، فتقطع عليه الطريق كي لا يصير وحشاً، أو غصّةً تخنق صاحبها في سكرات اليأس. هكذا، مثلاً، تحوّلت حماة الثمانينيات، وللمرة الأولى، من صرخةٍ خام في ذاكرة السوريين إلى ثورة لغةٍ أفلتت من وجع الضمير وأقفاص الرقابة، فصارت في شباط المنصرم، وبعد ثلاثين عاماً، تظاهرةً بصرية، صوتية وكتابية، تواصلية، انتزعت من الألم مطلقيّته، كما انتزعت منه سُميّته لتجعل منه ذاكرةً قابلةً للشفاء!

في جدليّة الحضور:

وكما أن الصرخة تقول الألم وتقاومه في الوقت ذاته، فكذلك نراها، على مستوىً جدليٍّ آخر، تتوجّه إلى "اللّه"، لكن لتسأله بشكل غير مباشر عن صمته: "يا اللّه عجّل نصرك يا اللّه!". وتذهب أحد الرسوم الكاريكاتورية لتصوّر أناساً باتوا يقولون: "يا اللّه، ما ضلّ غيرنا يا اللّه"، ثم "يا اللّه، شو صار معك يا اللّه؟"، ليعقب أحدهم ببراءة: "استغفر اللّه، لكنها فشّة خلق"! هكذا، يعبّر المعلّقُ هذا وغيره عن استغرابهم من "إلهٍ" يحضر في اللغة، ويغيب عن دائرة القرار السياسي؛ "إلهٌ" لا يكفّ عنا، كما نتمنى، ظلمَ المعتدين (أقلّها في الدنيا، لمن يؤمنون بالآخرة)، ولا يحُول دون موت الأبرياء، وما أكثر الطغاة الذين ماتوا والابتسامة ترتسم على وجوههم! هكذا، تتوجّه الصرخة إلى "اللّه"، معترفةً بشيءٍ من حضوره، ولو لغويّاً، لتضع اصبعها في جرح غيابه الوجوديّ، فترسم شكلاً جديداً من الحضور الذي لا ينفي الغياب بل يؤكده. وهنا، يمكن الصرخةَ، عندما تعي ذاتها، أن تشكّل وعياً جديداً لا يرى في "اللّه" "حلّال مشاكل"، بل، وقبل كل شيء، مرجعيّةً أخلاقيّة، وأحياناً صوفيّةً، تحترم صيرورة التاريخ، لتَغيب عنه سياسياً، أقلّها بشكل مباشر، وتحضر فيه إنسانياً. هكذا، تثّور الصرخة على استقرار العالم القديم، فتضعنا أمام هوّة الغياب وما تحمله من قلقٍ وآفاق خلاقة.

في جدليّة "التجديف":

وهنا تَلِدُ الجدليّةُ الثانية أخرى ثالثة، فمَن أطلق الصرخة إلى "اللّه" مات بتهمة "التجديف"، فبعد استجواب الناصريّ، شقّ رئيس الكهنة ثيابه وقال: "تجديف! ما رأيكم؟"، فأجابوه: "إنّه يستوجب الموت!" بالطريقة هذه، مات الصالحُ كمجدّف، لأنه لم يدخل في القوالب الدينيّة الموجودة آنذاك، فكان موته ثورةً على مطلقيّة الدين (وكذلك كان لموته بعدُ لاهوتيٌ وآخرٍ سياسيٌ لن أخوض فيهما). هكذا "كفر" الصارخ من عمق الناصرة، ومات "ملعوناً"، لأنه بشّر "بإلهٍ" غريب يؤمن بالإنسان الحر ويتألم في شعبه! وهنا يمكن صرخة عشتار، صرختَنا، عندما تعي ذاتها، أن تكون ثورةً على سطوة القوالب الدينية على المجتمع، أقديمةً كانت أم تلك التي أنتجها واقع الثورة، من ثقافة اتكاليّة أو تكفيريّة أو إقصائية أو أقلّويّة تجترّ يأسها في مرارة التكرار، وتخاف من جديد الحياة.

ثورة الصرخة:

ولأنّ الصرخة هذه لا تعيش من ثقل الحضور بل من تغلغل الغياب فيه، ولأنّها تثور على حضور ألم مطلق غير قادر على التعبير عن ذاته، ولأنّها تثور على حضور "إلهٍ" مطلق يهمّش التاريخ، ولأنّها تثور على حالةٍ دينيّةٍ مطلقةٍ لا تعرف إلا لغة الخوف والوعيد، يمكن الصرخة، عندما تُعقلن، أن تحمي منطق العدالة من آليات الانتقام. فالانتقام أيضاً قائمٌ على حضور مطلق للألم لا يملك من أساليب التعبير عن نفسه إلا الانفجار، أو الإحالة، في ساعة العجز، على "إلهٍ" يردُّ الصاع صاعَيْن مُشبعاً مطلقيّة الألم؛ في المقابل، تقبل العدالة بوسيطٍ ثالث، لِتَسِمَ الحضور بنوع من الغياب. هكذا، تشكّل عقلنة هذهِ الصرخة ثورةً ثقافيةً مجتمعيةً، وأحياناً دينية، قد تستطيع يوماً تفكيك شيءٍ من بُنى المطلق المتعدّدة التي تعملُ في ثقافتنا ولغتنا بشكل لاوعٍ مقزّمةً الإنسان. وهنا، يمكن حقيقةَ الصرخة، التي بدت يائسةً مُحبَطة، أن تتجلى أملاً، لا بل رجاءً في الحياة، يقع على عاتقنا جميعاً تحليلُها وعقلنتها ودفعها إلى الأمام.

ملاحظة: نُشر النص في جريدة السفير في 2012/4/14 لكن بعد حذف بعض المقاطع بسبب ضيق المساحة، ونشر النص كاملاً بعدها على صفحة "منمنمات سورية".

شهداء سورية

مجموع الشهداء (13620)

دمشق: 243
ريف دمشق: 1137
حمص: 5675
حلب: 379
حماه: 1430
اللاذقية: 245
طرطوس: 56
درعا: 1392
دير الزور: 456
الحسكة: 43
القنيطرة: 18
الرقة: 57
ادلب: 2483
السويداء: 5

1125 عدد العسكريين
12495 عدد المدنيين
862 عدد الإناث
216 عدد الأطفال الإناث
727 عدد الأطفال الذكور

المصدر: إحصائية قاعدة بيانات شهداء الثورة السورية 19 / 4 / 2012
http://syrianshuhada.com